



تحليل خطاب قناة الجزيرة نحو أحداث "الربيع العربي" في سوريا:

برنامج الاتجاه المعاكس أنموذجاً

Analysis of Al Jazeera Channel's Discourse on "Arab Spring" in Syria:

The "Opposite Direction" as a Model

إعداد

صباح عبد السلام حراشنة

الرقم الجامعي

401010027

إشراف

الدكتور محمود السعدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام

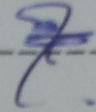
كلية الإعلام

جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا

كانون الثاني/يناير 2013

تفويض

أنا صباح عبد السلام حراشة، أفوض جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً، وإلكترونياً للمكتبات، والمنظمات، والهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها لغايات البحث العلمي.

الاسم : صباح عبد السلام حراشة
التاريخ: ١٤/١/٢٠١٤
التوقيع: 

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها: " تحليل خطاب قناة الجزيرة نحو أحداث "الربيع العربي" في

سوريا: برنامج الاتجاه المعاكس أنموذجاً " وقد أجزت يوم الاثنين بتاريخ 14 / 01 / 2013

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع	جهة العمل	الاسم
	جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا/ كلية الإعلام	أ. د. حميدة سميم رئيساً
	جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا/ كلية الإعلام	د. محمود السعدي مشرفاً
	جامعة اليرموك/ كلية الإعلام	أ. د. حاتم علونة ممتحناً خارجياً

شكر وتقدير

قال تعالى: " وما بكم من نعمة فمن الله " سورة النحل/ الآية 53

الشكر والحمد أولاً، وأخيراً الله رب العالمين، الذي أنعم عليّ، وهداني لطريق العلم والمعرفة، وأعانني على إنجاز هذه الرسالة التي طالما كانت حلمًا وغايةً لي...

أتوجه ببالغ شكري، وتقديري إلى جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بجميع كوادرها؛ لإتاحتها لي فرصة الالتحاق ببرنامج الدراسات العليا في الإعلام، وكل الشكر والتقدير لكلية الإعلام التي شعرت في رحابها مع زملائي بأننا عائلة واحدة...

كل شكري وتقديري لجميع أساتذة كلية الإعلام الذين لم يبخلوا علينا يوماً بعبائهم، وأخص بالشكر الأستاذة الدكتورة حميدة سميسم، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق الدليمي، والأستاذ الدكتور حلمي ساري، والدكتور كامل خورشيد، والدكتور رائد البياتي، والدكتور خزيم الخالدي.

كما أتقدم بعظيم الشكر والامتنان للدكتور محمود السعدي "المشرف على هذا البحث"؛ لما بذله معي من جهدٍ كبير أعانني على تحقيق حلمي... ولما غمرني به من عطاء أكاديمي ومعنوي كان له أكبر الأثر في نفسي... ودفعتني لبذل قصارى جهدي؛ لإعداد هذا البحث الذي أتمنى أن ينال ثقتكم...

صباح عبد السلام حراشة

إهداء

إلى الذي أنار دروب الكثيرين... وحمل مشعل العلم والمعرفة طوال حياته... ولم يتوقف عطاؤه يوماً أو ينقطع.... إلى الذي نهل من شتى روافد العلوم والدين والأدب... في وقت عزّ فيه طلب العلم، وشقت على طالبيه الظروف...

إلى أبي الحبيب الذي امتلك البصيرة، وبعد النظر حتى بعد أن انطفأ نور عينيه... لكن مشعله لم يخب يوماً، ولم ينطفئ، ولم تنفض من حوله حلقات المعرفة حتى آخر يوم من حياته... على روحك يا والدي ألف رحمة وسلام...

إلى والدتي الحبيبة التي تصمت أمام عطائها الكلمات... ويتضاءل أمام تضحياتها كل عمل... أقدم هذا الإنجاز البسيط الذي أعلم أنه لا يفيا شيئاً من حقها... ولكنه تعبير عن حبي، واعترافي بجميلها عليّ... أطال الله في عمرها، وأدام عليّ رضاها ودعاءها....

إهداء خاص

إلى زوجي وصديقي، ورفيق دربي الدكتور إبراهيم صبيح... الذي كان على الدوام مثلاً أعلى لي، ولأولادي في النجاح والتفوق... والذي لم ينقطع عطاؤه يوماً... فشجعتني وساندني، واحتمل تقصيري طوال فترة الدراسة، وكان لي خير معين...

إلى بناتي الحبيبات: أسيل، وتمارا، ورشا، وقرة عيني عزيز... الذين لم يتوقفوا يوماً عن الإيمان بقدرتي على إنجاز أي عمل... ولم يملوا يوماً من تذكيري بأن الأوان لن يمضي أمام الطموح...

إليكم جميعاً يا أحبائي أهدي هذا العمل الذي أتمنى أن يلبي توقعاتكم....

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	العنوان
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	الشكر
هـ	الإهداء
و	قائمة المحتويات
ح	الملخص باللغة العربية
ي	الملخص باللغة الإنجليزية
	الفصل الأول: مقدمة الدراسة
1	التمهيد
4	مشكلة الدراسة
4	أسئلة الدراسة
4	أهداف الدراسة
5	أهمية الدراسة
6	حدود الدراسة
7	مصطلحات الدراسة
	الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة
12	مدخل نظري
12	نظرية تحديد الأولويات
14	المستوى الثاني من نظرية ترتيب الأولويات أو تحليل الإطار الإعلامي
17	الدراسات السابقة
29	حدود الاستفادة من الدراسات السابقة
29	ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة
30	المبحث الأول: نظرة عن كذب على قناة الجزيرة
42	المبحث الثاني: (الربيع العربي)

الفصل الثالث: منهجية الدراسة (الطريقة والإجراءات)	
48	منهج الدراسة
49	مجتمع الدراسة
49	عينة الدراسة
50	إجراءات الدراسة
الفصل الرابع: تحليل النص البلاغي	
53	الاتجاه المعاكس أم ذات الاتجاه؟
58	المحور الأول: استحالة الإصلاح وضرورة العسكرة، والتدخل الخارجي لحل الأزمة السورية
70	المحور الثاني: النظام والجيش وجهان لعملة واحدة، وتفكيكهما فكرة وطنية وأخلاقية
86	المحور الثالث: عبثية الفكر القومي، والمقاومة
95	المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو
الفصل الخامس: مناقشة النتائج والتوصيات	
107	النتائج
110	التوصيات
112	المراجع

تحليل خطاب قناة الجزيرة نحو أحداث "الربيع العربي" في سوريا:

برنامج الاتجاه المعاكس أنموذجاً

إعداد: صباح عبد السلام حراشنة

إشراف: الدكتور محمود السعدي

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى إجراء تحليل بلاغي لخطاب قناة الجزيرة تجاه أحداث الربيع العربي في سوريا، من أجل اكتشاف أية أدلة تؤيد وجهة نظر باحثين كثر تفترض: أن الجزيرة ما هي إلا شكل متطور للإعلام العربي الرسمي، الذي هدفه الأساس هو الترويج لسياسات النظام الحاكم، والعمل على إعادة إنتاج شرعيته كلما تطلب الأمر ذلك.

تكون مجتمع الدراسة من جميع حلقات برنامج الاتجاه المعاكس التي تناولت الأزمة السورية في الفترة الواقعة بين 2011/3/18 و 2012/9/30 باعتبار أن هذا البرنامج يعد الأكثر جدلاً منذ نشأته التي تزامنت مع نشأة الجزيرة.

واستخدمت الباحثة تحليل الخطاب منهجاً، وأداة لإجراء التحليل، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: تناول برنامج الاتجاه المعاكس هذه الأزمة ضمن إطار استحالة الإصلاح، واستبعاد الحل السياسي تماماً، وهذا بدوره يتجلى في محاولات مقدم البرنامج دفع جمهور المشاهدين نحو اختيار، وقبول ماهو (ممكن)، كما يعرفه القاسم، عوضاً عن قبولهم، وإصرارهم على ما هو واجب بناءً على ما تمليه عليهم المبادئ التي يؤمنون بها، والتي تشكل آراءهم وأحاسيسهم نحو موضوع ما. وبناءً على ذلك فإن هذه الحلقات تعمل على تشجيع المشاهدين على اختيار ما يمكن تحقيقه بدلاً من التمسك بالثوابت الراسخة. وبالمحصلة فإن تأطير الملف السوري على هذا النحو مكن القاسم من خلق نقاط تقاطع مع وجهة النظر القطرية كما تتجلى في المحاور الأربعة الرئيسية المؤطرة لهذا الملف، وهي:

المحور الأول: عسكرة الحراك الشعبي، ومقبولية التدخل الخارجي.

المحور الثاني: إسقاط النظام، وتفكيك الجيش.

المحور الثالث: عبثية الفكر القومي والمقاومة.

المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو.

ثانياً: بناءً على طبيعة هذه المحاور، وما تمثله من مقدمات نظرية، فإنه يمكن توصيف خطاب البرنامج نحو الأزمة السورية بأنه خطاب تصعيدي، يهدف إلى تبني الحل العسكري للأزمة السورية.

ثالثاً: أظهر التحليل أن القاسم لا يقدم اتجاهين متعاكسين في برنامجه كما يدعي، بل إن خطابه يسير دائماً باتجاه واحد، يسعى من خلاله لتحقيق أهداف معينة، تتنافى عادة مع موقف الشعوب العربية، ولكنها تتقاطع مع الموقف الرسمي القطري، مما يؤكد أن خطاب الجزيرة بشكل عام ما هو إلا شكل من أشكال الإعلام الرسمي العربي، الذي يخدم مصالح الجهات الراعية واستراتيجياتها.

Analysis of Al Jazeera Channel's Discourse on "Arab Spring" in Syria: The "Opposite Direction" as a Model

Prepared by: Sabah A. Harahsheh

Supervised by: Dr. Mahmoud Raouf Al-Sadi

Abstract:

This study offers a rhetorical analysis of Al-Jazeera's discourse (the Opposite Direction as a model program) on the Syrian crisis in light of what is known as the "Arab Spring events" since the beginning of the crisis in March 2011 until September of this year, 2012. The researcher "rhetorical analysis" as a means of giving a close reading of Al Jazeera's political discourse, as a means of uncovering any evidence supporting the claim of many researchers who consider Al Jazeera an evolved form of the Arab official media, whose main objective is to bolster the legitimacy of the sponsoring regime and to serve its strategic interests

The text under examination covers all the episodes of the program "Opposite Direction" that dealt with the Syrian crisis during the period between 18/03/2011 and 30/9/2012 as this program is considered the most controversial since its establishment, which coincided with the emergence of Al Jazeera. The findings of the analysis could be summarized as follows:

First: the program discusses the Syrian crisis within the framework of the impossibility of reforming and the exclusion of any political solution for the crisis. This in turn led to encourage the viewers to abandon one line of reasoning that underpin their popular beliefs and attitudes, in favor of an alternative line of reasoning based on facts and circumstances when judging the ideas addressed by the sub-episodes of this program. Hence these episodes aimed to encourage viewers to choose what can be achieved rather than adhering to any established principles, and this in turn corresponded to the Qatar's perspective on this issue which revolves around the four aspects addressed by this study:

The first aspect: the militarization of the Intifada and the external interference.

The second aspect: regime collapse and the dismantling of the army.

The third aspect: the absurdity of Arab nationalism and resistance.

The fourth aspect: the recreation of the enemy.

Second: the Opposite Direction discourse can be characterized as an escalating speech towards a Syrian crisis that aims to adopt a military solution above all means.

Third: Al-Qasim does not offer two opposite perspectives in his argument as he claims; instead his discourse is geared towards one direction only, which enables Al-Qasim to achieve certain goals that are more often than not incompatible with the majority of the Arab viewers' position. Rather, the direction al-Qasim promotes intersects, almost always, with the official position of Qatar.

In light of these findings, the researcher concluded that Al Jazeera's discourse is far from being a revolutionary one. It rather signifies a conservative stance that characterizes Arab official media in general. This conclusion, in turn, grants credibility to the viewpoint whose adherents argue that al-Jazeera is merely an evolved form of Arab official mass media.

الفصل الأول

مقدمة عامة للدراسة:

تمهيد:

"ظهرت في مطلع الثمانينيات مدارس لتحليل الخطاب، اتسمت بغياب الاتفاق فيما بينها؛ نظراً لاختلاف التخصصات وتباينها، ومجالات الدراسة، والمنطلقات الفكرية والمعرفية للمنتمين لهذه المدارس، وهذا الأمر ليس مشروعاً فقط، ولكنه يعدّ قيمة موجبة في معظم أشكال تحليل الخطاب.

إن التوجه النقدي في تحليل الخطاب - والذي أصبح أحد أهم السمات الهيكلية لمدارس تحليل الخطاب - ارتبط بالتأثر الواضح بأعمال غرامشي* والثوسير، ومدرسة فرانكفورت، ومدرسة التحليل الثقافي، وأعمال فوكو، ورولان بارت، وأخيراً أعمال عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو، واستخدمت مدارس تحليل الخطاب مفهوماً أقرب ما يكون للغرامشية الجديدة، إذ يتفق فان ديك وروث، ووداك، وفيركلو على أن ممارسة القوة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد تعتمد على الإكراه بالدرجة الأولى بل على الإقناع". (شومان، 2011، ص78-94).

وتتفق الباحثة مع المفهوم الغرامشي الذي يؤمن بفكرة الهيمنة عبر الإقناع، أو ما يعرف بالهيمنة الناعمة، التي يمكن تحقيقها عبر مختلف أنواع الخطاب، وبالذات الخطاب الإعلامي. الأمر الذي قد يدفع الكثيرين، ومنهم الباحثة إلى الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامي، وبالتحديد ذلك الخطاب الذي تتبناه قنوات تحظى بجماهيرية كبيرة، كونه يعكس عملية الصراع، والهيمنة ويجسدها، عبر الإقناع، وتزييف وعي الجماهير.

* أنطونيو غرامشي فيلسوف، ومناضل ماركسي إيطالي، ولد في بلدة آليس بجزيرة سردينيا الإيطالية (1891 - 1937) ، أدرك أن السلطة الاجتماعية لم تعد مسألة سهلة؛ لتحقيق الهيمنة من جهة، أو جعل الشعوب تخضع لإرادة الجهات المهيمنة من جهة أخرى. لذلك فإن المجموعات المهيمنة استطاعت أن تحكم عن طريق التوافق مع الأشخاص الذين يحكمونهم داخل المجتمعات الديمقراطية. (Jones, 2006, p.3)

اهتمت الباحثة بالخطاب الإعلامي لقناة الجزيرة؛ كونه يشكل أهمية كبيرة لشعوب منطقتنا العربية، وخاصة في هذه الفترة التاريخية غير المسبوقة، والتي تعيش فيها الشعوب العربية ضمن منظومة ضخمة من الحركات الاحتجاجية السلمية التي انطلقت في معظم البلدان العربية في أواخر العام 2010، ومطلع العام 2011، متأثرة بـ(الثورات): التونسية، والمصرية، والليبية، ثم (الثورة) اليمنية، والتي أدت جميعها إلى الإطاحة بحكام هذه الدول.

وكانت أكبر هذه الحركات الاحتجاجية، وأكثرها استمرارية ودموية هي حركة الاحتجاجات في سوريا، والتي انقسمت الآراء تجاهها بين مؤيد للتغيير الجذري في هذا البلد، ومعارض له، إذ اعتبر بعضهم أنه يلبي أجندات خارجية إقليمية ودولية. تناولت الجزيرة هذه الفترة التاريخية بكثير من التركيز والاهتمام، وأسهمت بشكل ملموس في الصراع الإعلامي على الأقل، لذلك كان لا بد من البحث في مدلولات الخطاب الإعلامي تجاه هذه الحركات، ومقارنة هذه المدلولات مع الموقف الرسمي لدولة قطر التي تحاول أن تقوم بدور رئيسي، وفاعل في هذه الفترة التاريخية بالذات، مستخدمة هذه الآلة الإعلامية الضخمة. إذ يرى بعضهم أن قطر قامت " بثورة إعلامية في العالم العربي من خلال قناة الجزيرة التي قفزت إلى مصاف العالمية، وأصبحت مصدر قلق، وإزعاج ليس لجيران قطر فحسب، وإنما لمعظم الأثقياء، وحتى الحلفاء وعلى رأسهم الحليف الأكبر الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أن قطر أصبحت متهمّة بأنها تستخدم الجزيرة لتصفية حساباتها السياسية مع الآخرين". (منصور، الجزيرة، 2002/10/16)

عدّ بعضهم هذه القناة نقلة نوعية للفضائيات الإخبارية العربية، فقد حركت الركود الإعلامي العربي، ولفتت أنظار النخب المثقفة، والقواعد الجماهيرية الواسعة على السواء في العالم العربي كله. يقول مارك لينش Mark Lynch " منذ العام 1997 إلى العام 2003، قامت الجزيرة باحتكار الإعلام العربي، وتوجهت إليها كل الأنظار، ولا تزال الجزيرة المحطة رقم واحد في العالم العربي". (Rushing, 2007, p.136) ، إذ قدمت الجزيرة نفسها للمشاهد العربي بطريقة مهنية عالمية المستوى، نافست من خلالها فضائيات إخبارية عالمية، في الوقت الذي عانى فيه الإعلام الرسمي العربي الرتابة والجمود، وقدم ذاته ضمن إطار الدولة الراعية، ودخل حدود مصالحها السلطوية.

رفعت الجزيرة شعارات مهمة لامست طموحات الشعوب العربية، وآمالها في الحرية والديمقراطية، فهناك مساحة للرأي والرأي الآخر، ومنبر يرتفع من خلاله صوت الشعوب التي أسكتت لفترات طويلة، لم تُسمع فيها إلا الأصوات التي تمثل الحكومات، والمواقف الرسمية. إلا أن هذه الشعارات أثارت تساؤلات كثيرة حول القناة، وحركت سجلاً ما يزال قائماً أدى إلى استقطابٍ حاد في مواقف النخبة والمشاهدين، فهي تدعي الاستقلالية، وتمثّل الشعوب من ناحية، وتعتمد على تمويل ضخم، ودولة حاضنة تحتمل التبعات السياسية لخطابها الإعلامي من ناحية أخرى.

ونظراً لأن خطاب الجزيرة الإعلامي لا يمكن أن يوجه ضد ثوابت الدولة الحاضنة، ومصالحها العليا، كان لا بد من تحليل هذا الخطاب لاستخلاص المعاني الحقيقية للنصوص الإعلامية عن طريق إجراء تحليل نص بلاغي Rhetorical Discourse Analysis للخطاب السياسي لقناة الجزيرة (برنامج الاتجاه المعاكس نموذجاً)؛ لفهم مرتكزات هذا الخطاب، وما يهدف إليه من تأثير على مواقف جمهور المشاهدين وأفكارهم.

واختارت الباحثة هذا البرنامج بالتحديد؛ نظراً للشعبية التي حظي بها منذ انطلاسته التي تزامنت مع انطلاقة قناة الجزيرة في نوفمبر 1996، وحفاظه على استمراريته لغاية الآن؛ ولذلك عدّ الكثيرون هذا البرنامج من أكثر برامج الجزيرة شهرة، وشعبية على مستوى العالم العربي كله. "أحد أكثر برامج الجزيرة شعبية هو برنامج الاتجاه المعاكس". (Rushing, 2007, p.124) ، كما يعدّ هذا البرنامج الحوارى الأسبوعي المباشر من أكثر البرامج إثارة للجدل، لما يتمتع به من "مستوى من حرية التعبير تجاوز كل الخطوط الحمر، وكسر كل المحرمات". (El-Nawawy & Iskandar, 2003, p.11) ، فبينما استقبل المشاهد العربي التواق للحرية هذا المستوى من حرية التعبير بكل ترحاب، أشعل البرنامج "غضب القادة العرب" لدرجة أثرت على العلاقة بين قطر وجيرانها، "مما جعل هذا البرنامج حديثاً للعالم العربي في السنوات التشكيلية للجزيرة". (Alterman, 2000, p.223)

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في التحليل البلاغي لخطاب قناة الجزيرة الإعلامي (برنامج الاتجاه المعاكس نموذجاً) نحو (الأزمة السورية) في ظل ما يعرف بـ (أحداث الربيع العربي) منذ بداية الأزمة في آذار 2011، وحتى سبتمبر من العام 2012. وذلك للإجابة عن تساؤلات حول المعاني الحقيقية لهذا الخطاب، وما يرمي إليه من تأثير. فهل يشكل خطاب قناة الجزيرة (ممثلاً بأحد برامجها الرئيسية، والأكثر جدلاً واستمرارية: الاتجاه المعاكس) ثورة حقيقية في الإعلام العربي؟ أم أنه شكل آخر أكثر تطوراً لذات الخطاب الإعلامي الرسمي الذي يهدف لخدمة السلطة بشكل أساسي؟

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

أولاً: ما الأطر التي أطر بها برنامج الاتجاه المعاكس الأحداث السياسية في سوريا؟

ثانياً: هل تدل هذه الأطر على رغبة في التأثير على مواقف جمهور المشاهدين تجاه المستجدات السياسية في سوريا؟

ثالثاً: بناءً على الإجابة عن السؤالين السابقين، كيف يمكن توصيف الخطاب السياسي للبرنامج؟ هل هو خطاب اعتدالي؟ أم خطاب يدعو للتطرف؟ أم هو شكل متطور من أشكال خطاب الإعلام الرسمي العربي، الذي يهدف لتسوية سياسات الدولة الراعية وتبريرها، وإضفاء الشرعية عليها؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء تحليل بلاغي لخطاب قناة الجزيرة الإعلامي (برنامج الاتجاه المعاكس نموذجاً) نحو (الأزمة السورية) في ظل ما يعرف بـ (أحداث الربيع العربي) منذ بداية (الأزمة) في آذار 2011، وحتى سبتمبر من العام 2012؛ وذلك لاكتشاف أية أدلة تؤيد الفرضية

التي تقول: إن الجزيرة ما هي إلا شكل متطور للإعلام العربي الرسمي، الذي هدفه الأساس هو الترويج لسياسات النظام الحاكم، والعمل على إعادة إنتاج شرعيته كلما تطلب الأمر ذلك.

إن تحليل الخطاب السياسي للجزيرة، لا بد أن يجري فحصه ضمن سياق السياسة العامة للدولة الراعية، أو المالكة والممولة للقناة متمثلة بدولة قطر، بهدف استكشاف علاقة التأثير، والتأثير بين الخطابين: خطاب الجزيرة الذي ستحاول الدراسة تحديد ملامحه عن طريق التحليل البلاغي لمقدمات البرنامج الذي وقع عليه الاختيار كنموذج، وخطاب الدولة القطرية، الذي يمكن تحديد ملامحه العامة عن طريق استقراء تصريحات وزير الخارجية القطري فيما يتصل بالدولة محط اهتمام الدراسة (سوريا).

أهمية الدراسة:

يكتسب تحليل خطاب قناة الجزيرة أهمية خاصة في الوقت الراهن لعدة أسباب، يمكن تلخيصها بما يلي:

- حساسية المرحلة التي يمر بها الوطن العربي وخصوصيتها بشكل عام، مما شكل دافعاً قوياً لدى الباحثة لتقصي طبيعة الدور الذي تقوم به هذه القناة في هذه الفترة التاريخية تحديداً.
- التباين في الآراء حول خطاب قناة الجزيرة، والذي ازداد حدة في الآونة الأخيرة على ضوء تغطيتها لأحداث ما يعرف بـ (الربيع العربي). لذلك تعمل هذه الدراسة على إلقاء الضوء على قناة الجزيرة وخطابها، وذلك من خلال منظور نقدي تحليلي لهذا الخطاب، الذي يمتاز بقدر كبير من الحرفية؛ مما يلزم التزود بمنهج تحليل يسبر أعماقه قدر الإمكان.
- هذه الدراسة تسهم في التعرف إلى طبيعة العلاقة بين الوسائل الإعلامية التي تدعي الاستقلالية والحرية الواسعة، وبين إعلام الدولة الحاضنة، وخطابها السياسي، إذ تعدّ هذه الحيثية غاية في الأهمية في قناة تدعي الاستقلالية، وترفع شعار الرأي والرأي الآخر، وتقدم نفسها منبراً للشعوب.

- ومن الناحية المنهجية، يمكن أن تسهم هذه الدراسة في لفت الانتباه - على الأقل - لأهمية استخدام منهج تحليل النص البلاغي Rhetorical Discourse Analysis في التعرف إلى التطورات المهنية في الخطاب الإعلامي ولغته، خصوصاً هذا الخطاب الذي يقاربه بعضهم كأسلوب تضليلي غاية في الاحتراف، فقد رأى بعضهم أن هذا الخطاب يهدف للاعتدال، وحرية التعبير، "وقد ولدت الجزيرة الغضب والخوف بين الحكومات العربية، لأنها تجرأت أن تعطي الصحفيين القدرة على كشف وتغطية الأخبار في بيئة تتسم بحرية التعبير". (El-Nawawy and Iskandar, 2003, p.200) ، بينما رأى بعضهم الآخر أنه يهدف إلى التطرف، "ليس لديّ أي شك في أن هذه المحطة تعمل على وضع الأخبار بطرق تصورها بالأبيض أو الأسود، الخير أو الشر، عند تناول صراعات مثل النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني. وعلاوة على ذلك، من خلال استضافتها بانتظام العقائديين المتطرفين". (Zayyani, 2006, p.183) ، وهناك من عدّ قناة الجزيرة وسيلة تسمح للتعبير عن غضب شعبي عارم، وبالتالي فهي تعمل كصمام أمان منح الجمهور العربي بديلاً للوسائل غير القانونية أو العنيفة، وهي بالتالي، قوة من أجل الديمقراطية. El-Nawawy and Iskandar, 2003, pp.208-216) ، بينما رأى آخرون أن خطاب الجزيرة ليس إلا شكلاً متطوراً لخطاب الإعلام الرسمي القطري، الذي برر التناقضات الكثيرة للسياسة القطرية المثيرة للجدل. "إن الجزيرة مختلفة اختلافاً جذرياً عن وسائل الإعلام العربية الأخرى، وهي جذابة للغاية لدرجة لبت احتياجات، وتوقعات الجمهور داخل وخارج دولة قطر، وعملت على تقليص جميع السياسات المثيرة للجدل للحاكم القطري الجديد". (Sakr, 2007, pp.124-125; Telhami, 2004, pp.84-85).

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: جميع حلقات البرنامج الحواري الأسبوعي (الاتجاه المعاكس) في الفترة التي حددتها الدراسة.

الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية في قناة الجزيرة وبرامجها.

الحدود الزمانية: من 18 آذار/مارس 2011 (بداية الأزمة السورية) حتى أيلول/سبتمبر 2012.

مصطلحات الدراسة:

– **الخطاب الإعلامي:** يعرفه بنفنيست*:" بأنه وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة جماعية". وعرفه أيضا بأنه: " أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة". (الحربي، 2003، ص39-40). وهو نظام تعبير مقنن ومضبوط، ويحتوي على النصوص والأقوال، كما تفضي بمجموع كلماتها ونظام بنائها، وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي. (فوكو، 2007، ص34).

– **فضائية الجزيرة:** هي فضائية إخبارية عربية، تبتث برامجها على مدار الساعة من العاصمة القطرية (الدوحة)، وتعدّ أول فضائية إخبارية متخصصة في الوطن العربي، بدأت بثها عام 1996، و(قناة الجزيرة) هو الاسم الرسمي لفضائية الجزيرة الناطقة بالعربية، وتحمل شعار (الرأي والرأي الآخر)، ويبلغ عدد مكاتب الجزيرة حول العالم 30 مكتباً، يعمل بها 84 مراسلاً صحفياً، بالإضافة إلى طاقم من المنتجين والمصورين والمهندسين والإداريين. (حمدان، 2012، ص8).

– **اتجاهات الفضائيات:** هو مصطلح يعنى به التوجهات والأفكار، والقيم والأجندات التي تتبناها الجهة المسؤولة عن القنوات والفضائيات، أو الممولة لها، على الشاكلة التي يتم بموجبها ضبط الأخبار وفلترتها؛ وفقاً لمبادئها وسياستها. (ميرييه، 2003، ص11).

– **تحليل النص البلاغي Rhetorical Discourse Analysis :** هو شكل من أشكال الانتقادات، أو نوع من أنواع القراءة الحثيثة أو المعمقة Close Reading، والتي توظف مبادئ البلاغة لدراسة التفاعلات بين النص، المؤلف، والجمهور. (Johnstone; Isenhardt, 2008, p.7).

* اميل بنفنيست: هو صاحب كتاب مشكلات علم اللغة العام، وقد أسهم في إكساب الخطاب أهمية متميزة كأداة للتحليل. (نقلاً عن سميسم، 1997، ص 108).

- **السؤال البلاغي Rhetorical Question**: هو سؤال يطرح لمجرد التأثير من خلال الترويج لمفهوم معين، ومن غير المتوقع الإجابة عنه. وقد تكون الإجابة واضحة، أو تقدم على الفور من قبل السائل. (Black, 1992, p.1).
- **التماهي أو التشبيك Identification**: هو الطريقة التي يرتبط فيها المتحدث مع جمهوره عن طريق مشاركته اهتماماته واحتياجاته، بل وتبني مبادئه كمرتكز مهم يبني عليه المتحدث نقاشه، ويتخذ منه نقطة بداية، يبدأ معها آلية إقناع على المدى البعيد. ويؤسس المتحدث مبادئه مع الجمهور بإظهار أن كلا منهما يملك شيئاً جوهرياً مشتركاً. ولكن المتحدث يحتاج لدوافع بلاغية أكثر للوصول لهذه المماهة، التي تعدّ ضرورية بالتحديد، لأن هناك انقساماً بين المتكلم والجمهور، فالمماهة إذاً تسمح للمتحدث بأن يتعامل مع الآثار المترتبة عن هذا الانقسام. (Burke, 1974, p20-22).
- **التوافق الإزاحي Deflective Identification**: هو استخدام إعلامي ومذيعي الجزيرة أسلوباً، وخطاباً يظهر توافقه السطحي مع توجهات الجمهور وقناعاته، ليس بقصد تبنيها، أو إثبات مشروعيتها، وإنما في حقيقة الأمر، بهدف زحزحة الجمهور بعيداً عن هذه المبادئ والقناعات، وإحلال توجهات، وأطر جديدة مكانها. (Al-Sadi, 2011, p.82).
- **المصطلحات الخلاقة God Terms**: هي كلمات غامضة تستخدم في وقت معين ولديها " قوة كامنة " في معانيها كالحرية والتقدم، والتي تبدو لا يمكن اختراقها، وتعطي معنى إيجابياً بشكل تلقائي. وهي مرادفة لـ " أفكار " يسعى المتحدث لإقناع المتلقي بها بطريقة غير مباشرة. (Weaver, 1953, 222-223).
- **الوسم السياسي Political Label**: هو نوع من الاختزال اللغوي الذي يطلق على قضية سياسية معقدة؛ لتبسيطها وجعلها أكثر قابلية للتداول، ويتم الحكم عليها بشكل نسبي يعتمد على وجهة نظر الشخص من هذه القضية. (Crenshaw, 1995, p.9).

- **المحاججة الهشة Strawman Argument**: وهي نوع من الجدل القائم على إضعاف موقف ما دون الحاجة لمهاجمة هذا الموقف بطريقة قد تنثير استياء المتلقي المؤيد لمثل هذا الموقف، إذ يمكن استبدال هذا الموقف بموقف مماثل بشكل سطحي، ولكنه غير مكافئ للموقف المعارض، ثم تحطيمه دون الاضطرار فعلاً إلى مناقشة، أو دحض الموقف الأصلي. (Pirie, 2007, pp. 155-157).
- **السؤال الإيحائي Leading Questions**: هو سؤال يطرح بطريقة معينة، تهدف إلى خداع شخص معين، أو إجباره على إعطاء السائل الجواب الذي يسعى للحصول عليه. (Emanuel, 2007, p. 95).
- **الإزاحة Slippage**: هي محاولة دفع المتلقي من منهج تعليلي معين مرتكز على ركائز محددة Rehtorical Topic or Line of Reasoning إلى منهج تعليلي جديد قد لا يحظى بقبول ذات المتلقي. (Al-Sadi, 2011, p.82).
- **البرجماتية Pragmatism**: هي تيار فلسفي نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر، يصرف النظر عن البحث في أسباب الأمور، والأشياء وجوهرها، ويركز على النتائج التي تترتب عليها، وأثرها على حياة الإنسان ومصالحه، فيعدّ الأمور الخيرة الجيدة هي التي تحقق المصلحة الإنسانية، والتي تتمثل بدورها في أعلى قدر ممكن من الإشباع المادي والنفسي، بينما الأمور السيئة، هي التي تضر بمصالح الإنسان وتسبب له التعاسة، وبذلك لا يمكن لشيء أن يكتسب قيمة في حد ذاته، وإنما تكون قيمته بما يفيد به الإنسان، أو يضره. (Bacon, 2012, p.5).
- **الأيدولوجية Ideology**: هي منظومة أفكار وأهداف ثابتة، تحدد مواقف الشخص العامة سلفاً، كالوطنية والقومية والدين، أو هي مجموعة من المعتقدات التي يعبر عنها علناً؛ بغرض التأثير على اتجاه الآخرين وأفعالهم بشكل واضح. (Mayer, 1982, p.14).

- **الدوغماتية Dogmatism**: تعني "الرأي" أو "المعتقد الأوحده"، وهي التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها، أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته، وهي التشنج في الاعتقاد الديني، أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك. (Pepper, 1942, p.11).
- **مقدمات نظرية Premises**: هي اقتراح مفترض، أو مثبت بشكل مسبق كأساس للحجة أو الاستدلال، وتستخلص منه النتائج، سواءً في ذلك الاقتراحات الكبيرة أو الصغيرة، وهو يهدف إلى دعم الحقيقة من الاستنتاجات. (Bechtel; Luckhardt, 1994, p.13).
- **الأماكن البلاغية (أسس السجال) Rhetorical Topics**: هي المواضيع المقيدة بفعل ظروف خاصة تتبع من بيئة معينة؛ لذلك فهي تشمل أشكال التدخل التي تشكل أساس الحجج البلاغية المستخدمة . أو هي فئات أساسية من العلاقات بين الأفكار، يمكن أن يكون كلٌّ منها بمثابة قالب إرشادي؛ لاكتشاف الأشياء التي يمكن أن تقال حول الموضوع. وهي تعني حرفياً: "أماكن العثور على الأشياء". (Conley, 1994, p.80).

المصطلحات الإجرائية:

- **الربيع العربي:** أو ثورات الربيع العربي، أو أحداث الربيع العربي، وغير ذلك من المسميات، التي تعني تلك التحركات الشعبية السلمية منها أو المسلحة، العفوية أو المنظمة، والتي انطلقت في عدد من الدول العربية منذ أواخر العام 2010 ومطلع 2011، وذلك بهدف تغيير الأنظمة تغييراً جذرياً، أو تحقيق بعض الإصلاحات السياسية أو الدستورية أو المطلوبة.
- **الحركات الشعبية:** هي شكل عام من أشكال الاحتجاج، تندرج تحته أشكال التحركات الشعبية كافة، كالتحركات العمالية، السياسية، الاقتصادية، وحتى الاجتماعية، والتي تهدف إلى الاحتجاج على الفساد، وتردي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وتدني مستوى الأداء السياسي.
- **الفكرة الخلاقة God Idea:** هي مقاربات ناتجة عن محاولات تصنيع حقائق جديدة هدفها توليد مجموعة من الأسئلة في ذهن المتلقي بشأن فكرة مبدئية راسخة لديه، من أجل حرمان هذه الفكرة من الكثير من وزنها، ليصبح المشاهد أكثر استعداداً لتقبل فكرة أخرى بديلة. ويمكن استقراء مثل هذه الفكرة الخلاقة في جل الأسئلة البلاغية التي حرص البرنامج على اقترانها بالمصطلحات الخلاقة، والوسوم السياسية، وتكررت في السياق الكلي لمعظم حلقات البرنامج من أجل تحقيق غاية محددة. هذه التسمية مستلهمة من التسمية التي أطلقها ريتشارد ويفر على المصطلح الخلاق God Term.
- **الأزمة السورية:** هي الأحداث التي عصفت بسوريا منذ شهر آذار من العام 2011 ، وأُتِهمت السلطات فيها باستخدام العنف؛ لقمع المحتجين، والتسبب بمقتل الآلاف منهم. بدأت هذه الأحداث على شكل مظاهرات سلمية انسجمت مع الاحتجاجات الشعبية الكبيرة التي انطلقت في معظم الدول العربية، وأطلق عليها العالم اسم الربيع العربي، فيما أطلق السوريون على ربيعهم اسم ثورة الكرامة والحرية، وكان شعارها: "الشعب يريد"، وهدفت إلى الحرية والديمقراطية، والمساواة وإعادة السلطة للشعب، وإنهاء عهد الوصاية والأبوية، والتسلط الذي استخدمته النخب الحاكمة؛ من أجل تأييد احتكارها للسلطة، والثروة والجاه.

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

مدخل نظري:

تعتمد الباحثة على فرضيات نظرية ترتيب الأولويات Agenda Setting Theory ، والتي تساعدنا على تمييز ما تسعى إليه الرسالة الإعلامية من إبراز موضوعات معينة، ودفعها إلى قمة هرم الأولويات التي تستحق اهتمام الجمهور. ونظرية التآطير Framing Theory ، التي تساعدنا على تمييز كيفية تأطير موضوع ما بطريقة معينة توحى للجمهور بأسلوب التعاطي مع هذا الموضوع.

كما تعمل الباحثة على توظيف المفهوم الذي أطلق عليه السعدي التوافق الإزاحي Deflective Identification في تفسير بعض جوانب هذه الدراسة ومعالجتها ، وهو مفهوم وظفه السعدي في دراسته لتقصي " استخدام إعلامي ومذيعي الجزيرة أسلوباً وخطاباً يظهر توافقه السطحي مع توجهات الجمهور وقناعاته، ليس بقصد تبنيها، أو إثبات مشروعيتها، وإنما في حقيقة الأمر، بهدف زحزحة الجمهور بعيداً عنها، وإحلال توجهات، وأطر جديدة مكانها ". Al-Sadi, 2011, (p.82) وهذا المفهوم سيمكننا من كشف كيفية توظيف اللغة في دفع الجمهور نحو موقف ما دون التعدي على مبادئ الجمهور ومشاعره.

وفيما يلي سنتلقى الباحثة الضوء على نظريتي ترتيب الأولويات، والتأطير بشيء من التفصيل:

نظرية تحديد الأولويات Agenda Setting Theory:

تصف نظرية ترتيب، أو تحديد الأولويات قدرة وسائل الإعلام على إبراز موضوعات معينة على حساب موضوعات أخرى قد تكون أكثر أهمية، إذ " تفترض هذه النظرية أنه كلما كانت الأخبار أكثر بروزاً - من حيث عدد التكرارات وحجم التغطية - زادت أهمية الأخبار بالنسبة للجمهور". (Iyengar; Kinder, 1987, p.16).

وطوّرت هذه النظرية أساساً بواسطة الدكتورين: ماكس ماكومبس Max McCombs ، و دونالد شو Donald Shaw في دراسة حول الانتخابات الرئاسية الأمريكية في العام 1968، وسميت دراسة شابيل هيل Chapel Hill، وأثبتت وجود علاقة قوية بين ما فكر به قاطنو شابيل هيل في كارولينا الشمالية، وبين أهم القضايا الانتخابية التي أثارها وسائل الإعلام المحلية والوطنية. (McCombs; Shaw, 1972, pp.176-187).

وترجع أصول هذه النظرية للفصل الأول من كتاب ولتر ليبمان Walter Lippmann (الرأي العام) الصادر في العام 1922 ، في الفصل الذي يحمل عنوان "العالم الخارجي والصور في أذهاننا" ، يقول ليبمان: "إن وسائل الإعلام هي الرابط بين الأحداث في العالم، وصور هذه الأحداث في عقول المواطنين". وهكذا، دون استخدام مصطلح ترتيب الأولويات كان ليبمان في الواقع يكتب عن هذا المفهوم.

وبعد ليبمان، وفي العام 1963، أعرب برنارد كوهين Bernard Cohen عن الاستعارة التي أدت إلى إضفاء الطابع الرسمي على نظرية ترتيب الأولويات من قبل ماكومبس و شو، إذ لاحظ أن الصحافة: " قد لا تنجح كثيراً من الوقت في إخبار الناس كيف يفكرون، ولكنها نجحت بشكل مذهل في إخبارهم ما الذي يفكرون به، العالم سيبدو مختلفاً لأناس مختلفين اعتماداً على الخريطة التي رسمت لهم من قبل الكتاب، والمحررين، والناشرين للورق الذي يقرأون". (Cohen, 1963, pp. 36-46).

"وتهتم هذه النظرية على وجه التحديد بالقضايا، والأخبار السياسية من بين محتويات وسائل الإعلام عبر فترة زمنية قصيرة أو ممتدة، وغالبا ما تنتهي الدراسات القائمة على هذه النظرية إلى وجود مستوى عال من التشابه بين حجم الاهتمام المعطى لقضية معينة من قبل وسائل الإعلام، وبين مستوى أهمية هذه القضية لدى الجمهور الذي تعرّض لهذه الوسائل، ولا تعني هذه النتائج أن وسائل الإعلام لها قدرة على حمل الجمهور لاعتناق وجهة نظر معينة، ولكن وسائل الإعلام تنجح في حمل الجمهور على اعتبار بعض القضايا أكثر أهمية من قضايا أخرى، أي أن أولويات الاهتمام لدى وسائل الإعلام تصبح هي ذاتها أولويات الجمهور نفسه". (حسن، 1991، ص98).

المستوى الثاني من نظرية ترتيب الأولويات، أو تحليل الإطار الإعلامي Framing Analysis:

تعدّ نظرية الأطر الإخبارية إحدى النظريات التي تسمح للباحث بقياس المحتوى غير الصريح للتغطية الإخبارية في وسائل الإعلام للقضايا المثارة خلال فترة زمنية معينة، والإطار هو الفكرة الرئيسية التي تكسب الحدث معناه، وهو الذي يحدد موضوع الخلاف، وجوهر القضية.

وفي العام 1998 أقر ماكومبس وآخرون أنه وفقاً لنظرية ترتيب الأولويات في مستواها الأول فإن وسائل الإعلام ترتب بدايةً أولويات الجمهور من حيث القضايا بشكل عام، بينما تهتم بوجهات النظر، وجزئيات القضايا في مستواها الثاني. (McCombs; Et al 1998, pp.703-717).

وفي العام 2010 أكد شيفر Sheaffer، وبالماس Balmas أن التركيز في المستوى الأول لترتيب الأولويات يؤكد دور وسائل الإعلام في إخبارنا " ما هو الشيء الذي نفكر به " ، بينما المستوى الثاني يؤكد وظيفة وسائل الإعلام في إخبارنا " كيف نفكر " .

(Balmas; Sheaffer, 2010, pp.204-229).

و"من أهم المناهج التي وجد لها صدىً كبيراً في الدراسات الإعلامية، وبخاصة في مجال تحليل النصوص الإعلامية هو منهج تحليل الخطاب Discourse Analysis، وذلك لأسباب متعددة يتصدرها ما يلي:

- وجد المعارضون للدراسات الأمريكية التي تعتمد على الوصف الكمي في هذا المنهج دعماً تفسيرياً، واستدلالياً في دراسة النصوص الإعلامية بديلاً للتحليل الكمي للمحتوى وتركيزه على الوصف الكمي للمحتوى الظاهر.

- وجدوه داعماً للتمرد على دراسة الجزء - التجزيء - أكثر من دراسة الكل، وهو ما يميز الدراسات الأمريكية أيضاً في تناولها للدراسات الإعلامية إذ يهتم هذا المنهج بدراسة السياق، والبنية الكلية التي تعكس آثارها على إدراك أطراف العملية الإعلامية وبنيتها المعرفية، وبالتالي صياغتها للنصوص والخطاب الإعلامي.

إن التعريف التقليدي لتحليل محتوى الإعلام الذي ساقه بيرلسون في بداية الخمسينيات، واستمر دليلاً للخبراء والباحثين في مرحلة التطبيق خلال ما يزيد على ربع قرن بعدها وما تلاها، افتقد إلى ضرورات التفسير التي ترفع قيمة البحث ونتائجه، وبصفة خاصة الإجابة عن الأسئلة الخاصة بالأسباب والدوافع، مثل: لماذا كتب أو قيل ما يتم تحليله؟ ولماذا كتبه أو قاله القائم بالاتصال؟" (عبد الحميد، 2010، ص 209-210)، وهذه الأسئلة في الحقيقة هي الأهداف البعيدة لتساؤلات هذه الدراسة نحو طريقة تناول قناة الجزيرة لأحداث مهمة ما تزال بعض فصولها تجري في كل من اليمن و سوريا فيما يسميه بعضهم ثورات (الربيع العربي)، أو (الحراك الشعبي) أو غير ذلك من المسميات التي سنتجاوز عن الدخول في الجدل بشأنها. عملت الباحثة على توظيف نظرية التناظر Framing Theory في دراستها هذه؛ لأن هذه النظرية هي الأكثر اهتماماً بتفسير كيفية نشوء، أو تكون الظاهرة الإعلامية المتمثلة في الرسالة، وإخراجها من قبل القائم بالاتصال حتى وصولها للمتلقي، وتعد نظرية تحليل الإطار الإعلامي واحدة من الروافد الحديثة في دراسات الاتصال، إذ تسمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للرسائل الإعلامية التي تعكسها وسائل الإعلام.

وتفترض هذه النظرية أن الأحداث لا تنطوي في حدّ ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاهما من خلال وضعها في إطار "Frame" يحددها وينظمها، ويضفي عليها قدرًا من الاتساق من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع، وإغفال جوانب أخرى، فالإطار الإعلامي هو : تلك الفكرة المحورية التي تنتظم حولها الأحداث الخاصة بقضية معينة، والإطار الإعلامي لقضية ما يعني انتقاء متعمدا لبعض جوانب الحدث، أو القضية وجعلها أكثر بروزاً في النص الإعلامي، واستخدام أسلوب محدد في توصيف المشكلة وتحديد أسبابها، وتقييم أبعادها وطرح حلول مقترحة بشأنها. (مكاوي والسيد، 2009، ص348)

ويحدد انتمان Entman أربع وظائف لتحليل الإطار الإعلامي، وهي:

1. تحديد المشكلة أو القضية بدقة Define Problem .

2. تشخيص أسباب المشكلة Diagnose Causes.

3. وضع أحكام أخلاقية Moral Judgment.

4. اقتراح سبل العلاج Suggest Remedies.

ويشير انتمان إلى إمكانية تناول الأطر الإعلامية وفق مستويين أساسيين:

– المستوى الأول: ويتعلق بتحديد مرجعية، تساعد في عملية تمثيل المعلومات، واسترجاعها من الذاكرة، مثل استخدام إطار "الحرب الباردة" في المجتمع الأمريكي؛ للتمييز بين الأصدقاء، والأعداء في الشؤون الخارجية.

– المستوى الثاني: ويتعلق بوصف السمات التي تمثل محور الاهتمام بالنص الإعلامي.

ومن خلال التكرار والتدعيم يتم إبراز إطار بعينه ينطوي على تفسيرات محددة، تصبح أكثر قابلية للإدراك، والتذكر من جانب الجمهور، الذي يتعرض باستمرار لتلك الوسيلة الإعلامية. (مكاوي والسيد، 2009، ص350).

اعتمدت الباحثة على نظرية ترتيب الأولويات في مستواها الأول عندما بحثت في حجم تغطية البرنامج للأزمة السورية، إذ بلغت نسبة الحلقات التي تناولت هذه الأزمة نحو 50% من مجموع حلقات البرنامج جميعها في الفترة التي حددتها الباحثة للدراسة، وبذلك كانت الأزمة السورية هي الأكثر بروزاً بين الموضوعات التي تناولها البرنامج، واعتمدت على ذات النظرية في مستواها الثاني، والتي تسمى تحليل الإطار الإعلامي، في تحديد الأطر الرئيسية التي أطر فيها مقدم البرنامج فيصل القاسم معظم الحلقات التي تناولت الأزمة السورية، والتي أطلقت عليها الباحثة اسم الأفكار الخلاقة، ووضعتها ضمن أربعة محاور رئيسة هي:

المحور الأول: عسكرة الحراك الشعبي، ومقبولية التدخل الخارجي.

المحور الثاني: إسقاط النظام، وتفكيك الجيش.

المحور الثالث: عبثية الفكر القومي، والمقاومة.

المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة من حيث اهتمامها بأداء القنوات الإخبارية، فمنها ما اهتم بقناة الجزيرة بمفردها، ومنها ما اهتم بها مقارنة بغيرها، ومنها ما اهتم بالقنوات الفضائية الأخرى. وكذلك تنوعت الدراسات من حيث المنهج المستخدم، لكن معظمها استخدم التحليل الكمي باستثناء دراستين (السعدي وأبو الرب)، إذ استخدم كل منهما المنهج الكيفي. وفيما يلي عرض لبعض هذه الدراسات:

الدراسات العربية:

دراسة الخزندار، سامي (2008) بعنوان "آراء أساتذة العلوم السياسية والإعلام بشأن مدى مهنية الجزيرة".

هدفت هذه الدراسة للتعرف إلى مدى مهنية قناة الجزيرة من خلال بعدي الموضوعية، والمهنية أو الحرفية، من وجهة نظر عينة من المختصين في العلوم السياسية والإعلام.

وتكون مجتمع الدراسة من أساتذة جامعات في مجال العلوم السياسية والإعلام، وعاملين في الجامعات العربية، حيث بلغ العدد الكلي لمجتمع الدراسة من أساتذة الإعلام والعلوم السياسية 1251 أستاذاً جامعياً من 19 دولة عربية، منهم 616 أستاذاً جامعياً في تخصص الإعلام، و635 أستاذاً جامعياً في تخصص العلوم السياسية. وقد استخدم أسلوب المعاينة التطبيقية المنتظمة حيث جرى تقسيم مجتمع الدراسة إلى طبقات حسب التخصص والدولة.

وأظهرت نتائج الدراسة تميزاً عالياً لقناة الجزيرة، وذلك من خلال مؤشرات عديدة مثل: الموضوعية، الحرفية، المصدقية، الحيادية، استقلالية الخط التحريري للقناة، استعداد المسؤولين فيها لتصحيح الخطأ والاعتذار عنه. واعتبرت نسبة 77.2% من العينة القناة الإخبارية الأكثر مشاهدة كخيار أول بمتوسط مشاهدة يتجاوز الثلاث ساعات يومياً. كما اعتبرت نسبة 96% من العينة أن مصداقية الجزيرة تتراوح بين العالية جداً والنسبية، في حين جاء تقييم المهارات المهنية والمستوى الحرفي للعاملين في القناة بنسبة 75%.

وخلصت الدراسة إلى أن قناة الجزيرة كان لها حضور قوي في المشهد السياسي والثقافي في العالم العربي خلال السنوات العشرة الأخيرة. فقد حركت الركود الإعلامي العربي، ولفنتت أنظار النخب المثقفة، والقواعد الجماهيرية الواسعة على السواء، لا في العالم العربي فحسب، بل في العالم كله، لدرجة اعتبارها بعضهم نقطة تحول فاصلة في تاريخ الإعلام في البلاد العربية، فأصبح الحديث عن ما قبل الجزيرة وما بعدها؛ لأن هذه القناة كسرت احتكار الإعلام الرسمي للمعلومة والخبر، وفرضت نموذجاً إعلامياً جديداً، فطرحت بذلك على القنوات التي أتت من بعدها أكثر من تحدٍ.

دراسة أبو الرب، محمد (2010) بعنوان "دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر".

هدفت هذه الدراسة إلى فهم جدلية السياسة القطرية وتفسيرها في سياقين:

1. دبلوماسية قطر المباشرة عبر سياسيتها، وتحديداً رئيس وزرائها ووزير خارجيتها.
2. دبلوماسية قناة الجزيرة.

وقد استخدمت الدراسة منهج تحليل كفي من خلال تحليل النصوص، والبرامج التي تقدمها القناة، وطرحت الدراسة بشكل مركزي تساؤلاً يتعلق بماهية دور الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لقطر؟ بحيث تمثل السؤال السابق فاتحة لجملة من التساؤلات الاستيضاحية، وأهمها: كيف يفهم الخطاب المؤسسي لقطر كخطاب بنيوي ضمن دبلوماسيتين متعارضتين ظاهرياً؟ بين خطاب الجزيرة الذي يظهر ناقماً على الأميركيين والإسرائيليين، ومن تصنفهم على أنهم حلفاء واشنطن، إلى جوار احتضانها قيادات القاعدة والإخوان المسلمين.

وتوصل الباحث إلى أن الجزيرة وضعت قطر على الخريطة السياسية، وانتقدت الدراسة شعار "الرأي والرأي الآخر" الذي ترفعه القناة معتبرة أنه غير دقيق، وحسب شواهد الدراسة فإن القناة الناطقة بالعربية تمثل الرأي، فيما القناة الناطقة بالإنجليزية تمثل الرأي الآخر في غالبية القضايا، باستثناء تغطية الملف القطري. كما توصلت الدراسة إلى أن سياسة قناة الجزيرة تتوافق بنيوياً مع

السياسة القطرية ضمن المشروع التحديثي بما يحمله من أبعاد سياسية واقتصادية وأيديولوجية، وأن الدبلوماسية القطرية لا تتفعل إلا في الأزمات، وأن الجزيرة تتجاهل العلاقات القطرية – الأميركية – الإسرائيلية.

دراسة حمدان، محمد (2012) بعنوان " تغطية الفضائيات الإخبارية للأحداث / تغطية فضائتي الجزيرة والعربية لأحداث مصر وليبيا "دراسة مقارنة".

هدفت هذه الدراسة إلى المقارنة بين تغطية فضائتي الجزيرة والعربية "لأحداث 25 يناير" في مصر و"أحداث 17 فبراير" في ليبيا قبل، وفي أثناء الأحداث وبعدها، وحدود التوازن والحيادية التي التزمت بها الفضائيتان خلال تغطية الأحداث.

تكون مجتمع الدراسة من النشرات والبرامج الإخبارية لفضائتي الجزيرة والعربية الإخباريتين وتحديداً برنامجي: "حصاد اليوم" الإخباري في فضائية الجزيرة، و"آخر ساعة" الإخباري في فضائية العربية. ثم عقد مقارنة بين تغطية الفضائيتين للأحداث في مصر وليبيا، وتغطية فضائية الجزيرة للأحداث في البلدين، وتغطية العربية للأحداث في البلدين.

استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي، وأسلوب تحليل المضمون، وأظهرت النتائج مايلي:

- اختلاف تغطية الفضائيتين لأحداث "25 يناير" في مصر، حيث اتسمت تغطية الجزيرة بالتصعيد والانحياز بشكل واضح للأحداث والمتظاهرين وذلك عبر الصياغة، التقرير، التحليل، الاستضافة، مصادر التغطية. بينما اتسمت تغطية العربية بالتهدئة، والانحياز ضد الأحداث عبر الصياغة، التقرير، الاستضافة، حجم التغطية.

- تشابهت تغطية الفضائيتين لأحداث "17 فبراير" في ليبيا وهي تغطية اتسمت بالتصعيد والانحياز إلى الأحداث والمتظاهرين.

- تشابهت تغطية فضائية الجزيرة لأحداث "25 يناير" في مصر وأحداث "17 فبراير" في ليبيا، وهي تغطية اتسمت بالتصعيد والانحياز للأحداث والمتظاهرين.

- اختلاف تغطية فضائية العربية لأحداث 25 يناير" في مصر وأحداث "17 فبراير" في ليبيا، فقد اتسمت تغطية الفضائية لأحداث مصر بالتهدة والانحياز ضد الأحداث. بينما اتسمت تغطيتها لأحداث "17 فبراير" في ليبيا بالتصعيد والانحياز للأحداث والمتظاهرين.

دراسة نايف، مي (2012) بعنوان "الإعلام ما بعد التفاعلي كقوة ناعمة في إدارة التغيير/ قناة الجزيرة نموذجاً"

قدمت الباحثة عدداً من التعريفات لمفاهيم ذات علاقة بالإعلام التفاعلي، وعقدت مقارنة بين الإعلام التقليدي والإعلام التفاعلي، ووضحت مفهوم القوة الناعمة، ثم قدمت الجزيرة كنموذج للإعلام ما بعد التفاعلي بعنوان "الجزيرة والإعلام ما بعد التفاعلي". وقد خلصت الباحثة إلى أن الجزيرة أدارت نظرية الفوضى في فترة (الربيع العربي) على ثلاث مراحل:

الأولى: إسقاط رأس النظام بانتشار الفوضى، وإفقاد الرئيس سيطرته على الدولة والمجتمع.

الثانية: بعد التخلص من رأس النظام، تبدأ الدعوة إلى التخلص من النظام الكلي للدولة.

الثالثة: تبدأ عملية توجيه الشعب نحو الانتخابات، وإشغال الناس بالصراع على المناصب، ومن سيتولاها من قبل كل فريق، فتزداد الانقسامات بين أفراد الشعب، بل حتى بين أفراد الفريق الواحد، ويستعر الصراع الداخلي والحروب الأهلية.

وخلصت الدراسة إلى الاستنتاج: أن التاريخ قد يعيد نفسه تارة باستخدام العلم، وتارة باستخدام الإعلام كقوة ناعمة يتم بها استبدال النظام الفاسد الذي يحل مكانه نظام استعماري جديد سيأتي لإنقاذ الشعوب التي تعيش فوضى وضياعاً وضلالاً، وبذلك يكون الثوار الشباب قد استبدلوا إبليس بالشيطان.

الدراسات الأجنبية:

دراسة صقر، نعومي (2001) بعنوان عوالم الأقمار الصناعية: التلفزيون الدولي، العولمة والشرق الأوسط.

Sakr, N. Study (2001). Satellite Realms: Transnational Television, Globalization and the Middle East.

تعدّ دراسة صقر واحدة من أهم الدراسات التي تناولت وسائل الإعلام الوطنية الرسمية في العالم العربي؛ إذ ناقشت تطور التلفزيون الرسمي في العالم العربي في ضوء العولمة، وطرحت العديد من الأسئلة حول البث الفضائي الرسمي في الشرق الأوسط: كيف تطور، كيف تأثر بوسائل الإعلام الغربية، ما الذي يؤثر على محتوى برامجها، وما هي العوامل المتعددة التي تؤدي دوراً في التحكم بهذا المحتوى، وتساءلت كذلك عن المكتسبات والفوائد التي يمكن تحقيقها من خلال الاستثمار في وسائل الإعلام.

وسلطت دراسة صقر الضوء على التأثير الهام لقناة CNN خلال حرب الخليج في العام 1991. إذ إن هذا التأثير كان جديداً ومختلفاً؛ لأن البث يصل للمشاهدين مباشرة مخترقاً سيطرة الحكومات العربية، ليجبرها على مواجهة المنافسة.

وتلقي الدراسة الضوء على أربعة أسباب مهمة لنجاح الفضائيات الإقليمية، وهي: انتشارها الجغرافي الواسع؛ وقدرتها على الوصول لمختلف أنواع الجمهور؛ وقدرتها على إشباع الرغبة في الترفيه المنزلي خاصة لأولئك الذين يعيشون في المناطق الريفية؛ ودورها المهم في الاتصال بين الأشخاص الذين تفرقوا في الشرق الأوسط بسبب الحروب، أو الهجرة أو الإبعاد.

ناقشت الدراسة ردود فعل الحكومات العربية تجاه الفضائيات، إذ عملت بعض الحكومات العربية على سبيل المثال على فرض قوانين للتحكم بملكية الصحن اللاقطة.

وقدمت الدراسة تحليلاً للعلاقة بين الفضائيات ومفهوم العولمة، وفي النهاية أكدت أن التحالفات الاستراتيجية، والإقليمية لا تزال موجودة، مما يدحض فكرة أن الفضائيات تنذر بترابط إقليمي، إذ إن تأثير هذه الفضائيات هو تأثير هامشي فقط على العولمة في الشرق الأوسط، وقارنت صقر على

وجه الخصوص بين مصر والمملكة العربية السعودية وقطر، وأبرزت الانقسامات التي تدحض أية أفكار تدعو إلى الترابط أو العولمة. وتوصلت إلى أن الفضائيات لا يمكن إلا أن تكون وكيلة لأصحاب الثروة، والمالكين الذين يشكلون اللاعبين الإقليميين الذين يديرون الصراع العربي.

قدمت الدراسة ثلاث طرائق عامة؛ لتقييم الأثر السياسي للفضائيات: أولاً: وضحت أصول وخصائص القنوات الفضائية، وبدأت مع التهديد بتآكل الحدود، تلك الخطوط الأيدلوجية التي يحرسها الشرق الأوسط هي معرضة الآن للعولمة. ثانياً: فحص بيئة البث الفضائي من حيث الملكية والتنظيم. ثالثاً وأخيراً: قدمت مفهوم "المجتمع المدني العالمي" لتقييم تأثير المنظمات غير الحكومية على العولمة.

دراسة مايلز، هيو (2005) بعنوان قناة الجزيرة: ما وراء الكواليس لقصة قناة الأخبار العربية التي تتحدى الغرب.

Miles, H. Study (2005). Al-Jazeera: The inside Story of the Arab News Channel That is Challenging the West.

تناولت هذه الدراسة قناة الجزيرة كواحدة من القنوات الإخبارية الأكثر إثارة للجدل، والأكثر مشاهدة على نطاق واسع في العالم. فقد حاول مايلز الكشف عن القصة الحقيقية وراء ظهور هذه القناة التي تحظى بتمويل واحدة من أغنى البلدان في العالم، إذ بدأت هذه القناة في نوفمبر 1996 بمنحة من أمير قطر الذي لا يزال يغطي العجز السنوي لها، بينما حالت ضغوط السعودية على المعلنين المحتملين دون تحقيق الربح للقناة.

وقدمت قناة الجزيرة نفسها على أنها القناة الإخبارية الرائدة في العالم الإسلامي من خلال تغطية الأحداث التي تهم العالم العربي بطرائق لم يُشهد لها مثيل من قبل، وعن طريق برامجها الحوارية أيضاً. ومع ذلك، فقد عانت اتهامات تربطها بتنظيم القاعدة. كما اتهم صحفيوها بالتجسس لصالح الجميع، بداية من الموساد وصولاً لأصدام حسين، وفي وقت واحد في بعض الأحيان.

يكشف مايلز ما خلف الكواليس للقصة الكاملة لصعود قناة الجزيرة بسرعة الصاروخ مع وصول غير مسبوق للاعبين القناة الإخبارية الرئيسية، للصحفيين، والمنتجين والممولين، ومدى نفوذها وتأثيرها في تشكيل مسار العالم العربي.

وتناولت الدراسة نشأة الجزيرة، تغطيتها للانتفاضة الفلسطينية الثانية، تغطيتها لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، تغطيتها لمجريات الأحداث في أفغانستان، تغطيتها لفترة ما قبل الحرب على العراق، الحرب على العراق، ووجهة نظر الغرب حول القناة.

قابل مايلز معظم العاملين في الجزيرة وراقب أخبارهم، وبرامجهم الحوارية لمدة تجاوزت السنتين، وقدم تقييماً إيجابياً عن صحفيي الجزيرة. وخلص إلى أن الإعلام العربي لن يكون كما في السابق أبداً بسبب قناة الجزيرة، فالقنوات العربية الرسمية ستفقد جمهورها في العالم العربي الذي يعدّ التلفزيون أهم مصدر للأخبار لصالح قناة الجزيرة، أو منافسيها مثل قناة العربية.

دراسة ملحم، هشام (2005) بعنوان "الإعلام العربي، السلطة والنفوذ".

Melhim, H. Study (2005). Arab Media, Power and Influence.

تركزت هذه الدراسة على محورين رئيسيين هما:

1. كيف تؤثر ملكية وسائل الإعلام العربية على أجندها الإخبارية؟
2. هل تمثل وسائل الإعلام العربية قوة لإصلاح الوضع الراهن، أم هي تدعو للتطرف؟

توصل الباحث إلى أن الإعلاميين الكويتي والليبناني يعدّان مثالين لوسائل الإعلام العربية التي تتمتع ببعض الحرية، وتشدّد على شجاعة الإعلام الليبناني في انتقاد سوريا. ولاحظ ملحم أن الرقابة الذاتية كانت مشكلة مشتركة، وأن مثل هذه الرقابة تكون مفروضة عادة من قبل هيئة التحرير. كما أكد أنه حتى بالنسبة لوسائل الإعلام العربية المملوكة للقطاع الخاص، فإن التحقيقات الصحفية صعبة جداً؛ لعدم وجود قوانين تحمي الصحفيين، وتحمي مصادر المعلومات.

كما رأى أن السياسة تؤثر وتحد من تأثير وسائل الإعلام العربية، وأنه توجد دائماً شكاوى وانتقادات للإعلام تصدر من قبل مسؤولين حكوميين، واعتبر أن الصحف الرئيسية مثل صحيفة الأهرام المصرية هي في الأساس "أبواقاً للحكومات"، وهي بالتالي لا تملك تأثيراً حقيقياً على سياسة الدولة.

دراسة الزياني، محمد (2005) بعنوان ظاهرة قناة الجزيرة: وجهات نظر حاسمة حول وسائل الإعلام العربية الجديدة.

Zayani, M. Study (2005). The Al Jazeera Phenomenon: Critical Perspectives on New Arab Media.

اعتبرت هذه الدراسة قناة الجزيرة واحدة من أهم الظواهر الأكثر إثارة للجدل في العالم العربي. وتوصلت إلى أن هذه الشبكة الإخبارية القطرية، وعلى الرغم من تاريخها القصير نسبياً، قد تركت أثراً لا يمحى في العالم العربي، وغيرت وجه وسائل الإعلام العربية. حتى في الغرب، ينظر إليها إلى حد كبير على أنها القناة التي تعمل على مواجهة الأيديولوجيات الغربية. وهذه الدراسة التي طال انتظارها، تضم وجهات نظر متنوعة، ولكنها متكاملة من علماء وسائل الإعلام في العالم العربي والولايات المتحدة وأوروبا، وتُقيم الدور الذي أدته قناة الجزيرة في تشكيل الأفكار، وإعادة بناء الهويات العربية خلال مرحلة تاريخية وسياسية حاسمة في الشرق الأوسط.

تسلط الدراسة الضوء على جوانب مختلفة لهذه الشبكة، بما في ذلك سياستها، وجدول أعمالها وبرامجها وتغطيتها للأزمات الإقليمية، وتعاملها مع الغرب، في محاولة لقياس أثرها على المشاهدين العرب العاديين، وفهم تأثيرها على المجال العام العربي، وتحديد الدور الذي تقوم به في السياسة العربية الإقليمية.

دراسة فندي، مأمون (2007) بعنوان "حرب همجية: الإعلام والسياسة في العالم العربي".

Fandy, M. Study (2007). (Un) Civil War of Words: Media and Politics in the Arab World.

الفكرة الأساسية التي قدمتها هذه الدراسة هي ان الإعلام العربي هو "إعلام سياسي" بغض النظر عن طبيعة إدارته أو ملكيته. ومن هذا المنطلق يقول الباحث إن خصخصة وسيلة الإعلام لا تغير من طبيعتها السياسية. فنجد أن نفس الحكومات والمنظمات السياسية التي قادت الإعلام العربي في الماضي من خلال وسائل الإعلام "الحكومية" أو الرسمية، مازالت تتمتع بنفوذ هائل داخل ما يسمى بـ"الإعلام الخاص". ويشير فندي إلى أن العديد من وسائل الإعلام الإخباري بالعالم العربي مثل قنواتي العربية والجزيرة تعلن عن ذاتها كوسائل إعلام خاصة، ولكن بصرف النظر عن الملكية الخاصة لهذه القنوات إلا أننا نجد أنها غير مستقلة تماما عن الهيئات الحكومية التي تقدم لها الدعم المالي بشكل مباشر أو غير مباشر. لذلك فهي تتمتع بحرية شبه مطلقة في تغطيتها الإخبارية للقضايا التي لا تخص الهيئات الحكومية الداعمة لها، ولكن تغطيتها الإخبارية لا تتسم بهذه الصراحة، والجرأة في تقاريرها الخاصة بقضايا تلك الهيئات الداعمة.

من أبرز نتائج هذه الدراسة:

1. إن الإعلام العربي هو نظام قائم على نمط مبدأ "الكفيل" السائد بدول الخليج العربي، حيث إن كل وسيلة إعلام تخدم مصالح "كفيلها"، أي المتكفل بتكاليفها المالية.
2. إن واقع الإعلام العربي اليوم لم يتغير كثيراً عن فترة الخمسينيات والستينيات عندما صعدت إذاعة "صوت العرب" إلى مقدمة الإعلام العربي.
3. إن تحليل التغطية الإخبارية بلبنان للأحداث السياسية التي جرت بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري، أظهرت أن التغطية الإعلامية الخاصة بكل قناة إخبارية أبدت انحيازاً واضحاً لصالح الجهة الداعمة لها؛ وعليه فإن هذا المسلسل الدرامي الذي شاهده العالم العربي على القنوات اللبنانية يؤكد أن وسائل الإعلام العربي أصبحت أداة سياسية تستخدم في الصراعات، والمنافسات التي تخوضها الجهات الداعمة.

4. إن أحد العوامل الهامة التي أدت إلى صعود الطابع السياسي للتغطية الإخبارية بوسائل الإعلام العربي هو نمو المجتمعات المغتربة داخل الصحافة العربية. أي أن مجتمع الصحفيين الفلسطينيين داخل الإعلام العربي هو أحد العوامل التي تساعد على بناء التركيز الذي تحصل عليه القضية الفلسطينية في كل النشرات الإخبارية مقارنة بالقضايا الأخرى.

0. إن نمو العناصر المؤيدة للتيارات الإسلامية داخل وسائل الإعلام العربي، والتي تشغل مناصب داخل الهيئات الإخبارية كمقدمين أو مراسلين أو منتجين، ساعد على تكوين التغطية الإعلامية المؤيدة للحركات الإسلامية بالعالم العربي.

دراسة السعدي، محمود (2011) بعنوان "قناة الجزيرة؛ انتفاضة على الهواء".

Al- Sadi, M. Study (2011). Al-Jazeera Television: Intifada on the Air.

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل خطاب الجزيرة تجاه قضايا سياسية أساسية، ذلك التحليل الذي يعمل على توضيح الكيفية التي تستخدم فيها اللغة؛ لإعادة إنتاج النظم الأنوقراطية من خلال تشبيك مصالح هذه النظم مع معتقدات الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية وتطلعاته.

تكون مجتمع البحث من أربعة نماذج من برامج القناة القطرية باعتبارها الأوسع انتشاراً -حين إعداد الرسالة- وهي: الاتجاه المعاكس، بلا حدود ، أكثر من رأي، الشريعة والحياة. وخلصت الدراسة إلى ثلاث نتائج تتلخص فيما يلي:

أولاً: إن الجزيرة تبذل جهداً لدحض المنظومات الفكرية التي لا تتفق مع النظام السياسي القائم كالخطاب القومي العربي، وما يسمى "الإسلام الجهادي".

ثانياً: إن الجزيرة تسعى بجد؛ لتزويد الجمهور العربي بطرح بديل يستند إلى مزيج من الليبرالية الغربية، والإسلام الوسطي كما تمثله جماعه الإخوان المسلمين.

ثالثاً: تسعى الجزيرة بقوة لتقديم النظام السياسي القطري للجمهور العربي كتجسيد حي للبدل الفكري "المقبول شعبياً"، والذي من شأنه تحقيق جزء من أهداف الجمهور العربي مع الإبقاء على مصالح النظام الجديد، وأمنه واستقراره.

دراسة محروم، محمد (2011) بعنوان "صحفيو اليوم والغد في الأردن.. كيف يقيّمون تغطية قناة الجزيرة العربية لأحداث الربيع العربي عام 2011".

Mahroum, M. Study (2011). Journalists of today and tomorrow in Jordan: How they Assess Al-Jazeera's coverage of the events of the Arab Spring on the year 2011.

هدفت الدراسة للتعرف إلى مدى موضوعية قناة الجزيرة في أثناء تغطيتها الإخبارية للثورات، وإيجابيات هذه التغطية وسلبياتها. واستخدم الباحث منهج المسح وطبق الاستبيان على عينة عشوائية من الصحافيين المحترفين، وطلبة الصحافة في الأردن، على اعتبار أن هذه العينة تمثل صحفيي اليوم، وهم الصحفيون المحترفون، وصحفيو الغد، وهم طلبة الصحافة.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إن قناة الجزيرة أدت دورا كبيرا في التعريف بالثورات العربية، والتعبير عن تطلعات الشعوب العربية المتعطشة للحرية والكرامة والعدل والديمقراطية.

كما أن القناة قامت -عبر تغطيتها الإخبارية للأحداث- بدور مهم أسهم في التأثير على المواقف العربية، والدولية الرسمية والشعبية نحو الشعوب والأنظمة العربية.

وأظهرت الدراسة أن نسبة 67% من الصحافيين يعتقدون بأن قناة الجزيرة انحازت بشكل كامل إلى الشعوب العربية الثائرة، وقاطعت الأنظمة في الدول التي شهدت الثورات، لأن هذه الأنظمة قررت أن تغلق أبوابها أمام القناة ومراسليها، وأن هذا الانحياز لم ينتقص من مهنية القناة، فيما تعتقد نسبة 33% من عينة الصحافيين أن القناة لم تكن موضوعية؛ لأنها كانت تسعى إلى تنفيذ أجندة سياسية خاصة مرتبطة بالنظام القطري الذي وظف الجزيرة في مناكفة أنظمة لا ترتبط بعلاقات قوية مع الدوحة كأنظمة مصر وتونس وليبيا.

دراسة خميس، سحر؛ جولد، بول؛ وفون، كاثرين (2012) بعنوان ما وراء "ثورة الفيسبوك" في مصر و"انتفاضة يوتيوب" في سوريا: مقارنة السياقات السياسية، والجهات الفاعلة واستراتيجيات الاتصال.

Khamis, S., Paul B., Gold & Vaughn, K. Study (2012). Beyond Egypt's "Facebook Revolution" and Syria's "YouTubeUprising:" Comparing Political Contexts, Actors and Communication Strategies.

هدفت هذه الدراسة إلى قياس دور وسائل التواصل الاجتماعي في "الثورات العربية" في كل من مصر و سوريا من خلال البناء السياسي والاجتماعي، مع الأخذ بالاعتبار المرحلة التي وصلت لها كل من مصر و سوريا قبل الثورة، والتي كانت تملي على وسائل الإعلام الدور الذي يجب أن تقوم به.

وخلصت هذه الدراسة إلى ما يلي:

- كانت إرادة الشعوب العربية وتصميمها لتنفيذ التغيير هي القوى الدافعة الرئيسة وراء هذه الثورات والانتفاضات، وتعززت هذه الإرادة بوسائل الإعلام الجديدة. وأشارت هذه الدراسة إلى أن التكنولوجيا لا تسبب التغيير السياسي، ولكنها توفر قدرات جديدة، وتفرض قيوداً جديدة على الفاعلين السياسيين.
- الانتشار الواسع لتغطية الأحداث من قبل المدنيين لا يعمل على زيادة الوعي حول وحشية الأنظمة، وحجم الفساد وانتهاك حقوق الإنسان فقط، ولكنها تشجع المواطنين على الخروج للشوارع، والتظاهر أيضاً.
- إن هناك مسارين متوازيين للثورة السياسية والصحفية في سياق الثورات العربية، فقد حفزت وسائل الإعلام الثورات على الساحة السياسية، ومن ناحية أخرى شهدت وسائل الإعلام نفسها ثورة من التغييرات الجذرية رفعت من التوقعات بالنسبة لحرية الصحافة.
- بالنسبة لمصر و سوريا فقد شكل تقاطع المصالح الداخلية والخارجية عاملاً مساعداً لدعم الصحوه العربية، التي الهمت شعوب الأمم الأخرى.
- الدور الهام الذي قامت به وسائل الإعلام الجديدة في هذه الثورات هو تعزيز المشاركة المدنية.

– أصبحت النشاطات في مختلف الدول العربية أكثر اعتماداً على الشبكات، وليس على الإنترنت فقط.

حدود الاستفادة من الدراسات السابقة:

كان لاطلاع الباحثة على ما توفر من دراسات فوائد كثيرة خلال مراحل إعداد هذه الدراسة حتى مراحلها الأخيرة، وتمثلت الفائدة الرئيسية في تجنب التطابق مع محاور الدراسات السابقة، وكذلك الاطلاع على حجم الجدل الكبير الذي يدور حول دور قناة الجزيرة وأهدافها، ولاحظت الباحثة تعدد وجهات النظر؛ مما سيكون له انعكاس في تفسير النصوص التي ستهتم بها الدراسة، بحيث يجري الأخذ بالاعتبار التأويلات الممكنة للنص كافة ما دما نعتمد المنهج الكيفي (النوعي).

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

إن ما يميز هذه الدراسة – من وجهة نظر الباحثة – هو أنها ستعتمد على التحليل البلاغي للأسئلة البلاغية التي تشكل عادة مقدمة برنامج الاتجاه المعاكس، كنموذج لمساعدة الباحثة في تحديد اتجاه خطاب الجزيرة نحو (الأزمة) السورية بالتحديد، وتفترض الباحثة ضمناً أن خطاب الجزيرة جاء منسجماً مع الموقف القطري تجاه الأزمة السورية؛ بناء على أسس أيديولوجية وسياسية لا تستند إلى ما يسمى بالقيم الخبرية، أو المهنية الإعلامية بقدر ما تستند إلى سياسات الدولة الممولة للقناة، إذ تتماشى تغطيات الجزيرة، وخطابها مع سياسات الدولة المالكة الممولة، علاوة على ذلك، فإن الباحثة ستعتمد على منهج تحليل النص البلاغي للبرنامج قيد الدراسة، وهو منهج يتبع الدراسات النوعية، وليس على المنهج الكمي الذي اعتمدته أغلب الدراسات السابقة على حد علم الباحثة.

نظرة عن كذب على قناة الجزيرة

تمهيد:

شهد الإعلام في العالم العربي فترات طويلة من الرتابة والركود، جعلت منه مصدراً غير رئيسي للمعلومة، أو الخبر لدى المشاهد العربي الذي اضطر في معظم الأحيان للجوء إلى الإعلام الغربي؛ ليعرف ما يدور في محيطه الخاص. حتى الانفتاح الكبير على العالم الذي حققته الفضائيات بشكل عام لم يُخرج الإعلام العربي، معظم الوقت، من هذه الرتابة التي فرضتها سيطرة الجهات الممولة لهذه الفضائيات سواءً كانت هذه الجهات حكومية أو خاصة، إذ وجهت هذا الإعلام، واستخدمته للدفاع عن مصالحها بشكل عام. " قال لورنس بنتك Lawrence Pintak الذي يدير مركز أدهم للصحافة الإلكترونية في الجامعة الأمريكية في القاهرة: " إن اليقظة الحقيقية أتت مع حرب الخليج عام 1990-1991 عندما اتجهت أنظار العرب نحو الـ CNN و الـ BBC ، أو كما يقول عادل اسكندر: " بعد 1967 عندما فقد الإعلام العربي مصداقيته، أين اتجه المشاهد العربي؟ حرفياً ولمدة ثلاثين عاماً، اضطر العرب للتوجه لمحطات الأخبار العالمية للحصول على أي معلومة ذات مصداقية". (Rushing, 2007, pp.131-132).

إن "عملية تطور الإذاعة والتلفزيون في مصر، الأردن، والمملكة العربية السعودية تيرهن بشدة على كيفية استخدام الحكومات العربية وسائل إعلامها الإلكترونية وسيلة لتسوية التهديدات الوجودية التي تواجهها هذه الحكومات في المقام الأول، إذ إن الإعلام في معظم الدول العربية، أولاً وقبل كل شيء، وظيفته الأساسية هي: درء أي تهديدات داخلية أو خارجية، تهدد النظام السياسي، من أجل ضمان استمراره، وتحقيقاً لهذه الغاية، فإن وسائل الإعلام المحلية والعربية تؤكد حكمة مفهوم (الدولة القطرية) ومشروعيته بديلاً للدولة القومية. بعبارة أخرى، فإن وسائل الإعلام العربية تسهم في المحافظة على حال الفرقة، والانقسام السياسي في العالم العربي". (Al-Sadi, 2011, p.49)؛ ولتحقيق ذلك استخدمت الأنظمة العربية جميع مؤسسات الدولة، وكانت وسائل الإعلام الخاص واحدة منها". (Tellhami, 2004, p.68).

استطاعت قناة الجزيرة باعتبارها قناة فضائية عربية، أن تجذب إليها الجماهير العربية المختلفة بشكل ملحوظ منذ بداية انطلاقها، إذ شكلت هذه القناة رؤية جديدة للإعلام العربي، كانت هذه

الجماهير تطمح لوجودها دائماً، عليها تسهم في تغيير الصورة النمطية التي يرى العالم العرب من خلالها، والتي شكلها الإعلام الغربي برؤية صهيونية، وأقنع العالم بها كونه اللاعب الأقدر على إسماع صوته، وتشكيل الصور التي يرغب بتشكيلها. ولكن هل قدمت الجزيرة للمشاهد العربي ما كان يطمح إليه، أم أنها بقيت تدور في محيط المساحات الضيقة التي وضعتها الحكومات العربية لوسائل إعلامها التي كرستها بشكل، أو بآخر لخدمتها هي في المقام الأول؟

لم تشكل الجزيرة بالنسبة لقطر تحدياً فعلياً؛ لأن "القيادة غير المنتخبة لدولة قطر الخليجية الصغيرة جداً والغنية جداً، لن تخسر شيئاً عند السماح بحرية التعبير، لذلك فقد قررت اعتماد حرية التعبير هذه أداة للسياسة الخارجية". (Sakr, 2007, p.68).

"ليس فقط أن قطر ليس لديها ما تخسره من السماح بحرية التعبير، ولكنها في الواقع ستحقق الكثير من المكاسب عند القيام بذلك من خلال قناة الجزيرة، وكأي مراقب للشؤون السياسية العربية الحالية يمكنني القول: إن الجزيرة هي أداة فعالة جداً اتخذتها قطر للخروج من حالة التهميش والنسيان، والوصول إلى دولة سياسية بارزة في السياسة العربية". (Al-Sadi, 2011, p.74).

برزت أحداث ما يعرف بـ(الربيع العربي) على الساحة العربية، لتعيد كتابة تاريخ المنطقة مستعينة بأدوات جديدة، تمثلت بشبكات التواصل الاجتماعي، والهواتف النقالة والفضائيات التي أدت دوراً كبيراً تمثل بمحاولات حثيثة لتوجيه هذه الحركات الشعبية، أو (الربيع العربي) لوجهات معينة تلبي أجندات خاصة، لم تكن الديمقراطية وحقوق الإنسان من بينها. والجزيرة كانت واحدة من أهم الفضائيات التي غطت أحداث (الربيع العربي) إن لم تكن أهمها على الإطلاق الأمر الذي استرعى انتباه الكثيرين، وحثهم على دراسة تغطيتها لهذه الأحداث؛ للوقوف على أهدافها الحقيقية.

وتحقيقاً لهذه الغاية كان لا بد من توضيح السياق التاريخي الذي ولدت فيه القناة، والدور الذي قامت به الدولة الراعية قطر للتغلب على التحديات التي واجهتها؛ إذ " لفهم قناة الجزيرة يجب أولاً وضعها بدقة في سياقها الطبيعي؛ تمهيداً لتحديد ما إذا كانت تتحدى سياسة النظام الراسخة أو تدعمها". (Sakr, 2007, p.116).

نظرة عامة على السياق التاريخي لنشأة قناة الجزيرة:

"تاريخياً، كانت قطر محمية بريطانية منذ العام 1916. إذ كانت عائلة آل ثاني، وما زالت هي العائلة الحاكمة فيها. حصلت على استقلالها يوم 3 سبتمبر 1971، وتشكل صادرات النفط المصدر الرئيسي للدخل القومي لدولة قطر، وحوّل ارتفاع أسعار النفط في عام 1973 قطر من واحدة من أفقر دول العالم إلى واحدة من أغنى الدول. إذ يعد معدل مستوى الدخل للقطريين واحداً من أعلى المعدلات في العالم". (Al-Sadi, 2011, p.72).

تقع شبه الجزيرة الصغيرة، على ثاني أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم. وصل أميرها الحالي للحكم بعد أن انقلب على والده، إذ "أعلن نفسه الأمير الجديد في السابع والعشرين من يونيو 1995 بينما كان الأمير القديم في إجازة في سويسرا، ويُقال: إن الشيخ خليفة علم بالانقلاب بينما كان يستمع للراديو في غرفة الفندق بجنيف، ويقول آخرون: إن ابنه أخبره بواسطة الهاتف، ثم أغلق الخط فوراً. الانقلاب بشر بعام من الصراعات والمشاحنات بين الأب وابنه. إذ كانت لدى الشيخ خليفة النية في التثبيت بالحكم، فشرع بجولة في الخليج؛ لإثارة المعارضة ضد ابنه الذي تبرأ منه علانية، وكثرت الشائعات حول المؤامرات التي تحاك ضد حياة الأمير الابن، والتي بلغت ذروتها في احباط محاولة الانقلاب التي حصلت في 14 من فبراير من العام 1996، وقيل: إن الشيخ خليفة أخذ عدة بلايين من الدولارات - من المحتمل أنها بلغت 25 بليون دولار - من خزائن الحكومة القطرية. أمسك الشيخ حمد بزمام الأمور، بمساعدة مكتب Patton Boggs للمحاماة في واشنطن، وجمد الأمير حمد الأموال التي حصل عليها والده من الدولة، منهيّاً بذلك حلمه بالعودة للسلطة، وبدلاً من الاندماج مع دول خليجية أخرى، فعل الشيخ حمد كل ما بوسعه لرفع مكانة قطر على المستوى العالمي، وخطط لتحويل قطر إلى محور إقليمي مهم، كنسخة عربية من سويسرا: غنية، حيادية وآمنة". (Miles, 2005, pp.14-16).

"بعد أن استولى الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني على الحكم من والده قام بتنفيذ إصلاح حكومي لامثيل له، إذ أشرف على تطوير الدستور، وتشكيل مجلس بلدي منتخب، وأعطى المرأة حق التصويت، والعمل، وقيادة السيارة، وحتى الحصول على مناصب حكومية". (Rushing, 2007, p.119).

بدأت الدولة الجديدة ببناء علاقات دولية وإقليمية عديدة، ولكنها اهتمت بشكل كبير ببناء علاقات قوية مع الولايات المتحدة، إذ "استثمرت أمريكا مئات الملايين من الدولارات في الدفاع عن النظام القطري الذي تربطها به علاقة ذات روابط عميقة. في العام 2002 صدم وزير الخارجية القطري، الشيخ حمد بن جاسم الجميع عندما صرح بأن علاقة قطر بأمريكا هي "أولى الاعتبار القطرية". بينما تطلعت قطر في الماضي إلى بريطانيا من أجل الحماية، لكنها وجدت لها الآن "أخ أكبر جديد". ومن وجهة النظر الأمريكية فإن هذه الدولة الإسلامية الخيرة، التي تسمح باستغلال مصادرها واستعمار صحرائها، هي الشريك الذي تحلم به في المنطقة". (Miles, 2005, p.10).

شملت الإصلاحات التي قام بها الأمير الجديد مجالات كثيرة كان التعليم واحداً منها، وكان لتعليم النساء نصيب كبير من هذه الإصلاحات والتغييرات، وكان الاهتمام بالتعليم من أولويات شخصيات عدة ذات أهمية في الدولة القطرية كالشيخة موزة زوجة الأمير القطري، ووزير التعليم القطري الشيخ محمد، "الذي هو أيضا عضو في المجلس الإداري لقناة الجزيرة، ويمثل نوعا من القوة، وهو الذي اهتم بتعليم المرأة التي وصلت إلى مناصب رفيعة منذ تولي الأمير السلطة. شكلت النساء ثلثي الجسم الطلابي في جامعة قطر، وقضت زوجة الأمير الشيخة موزة الكثير من وقتها للترويج للتعليم وحقوق المرأة في البلاد، والأمير الذي درس في لندن، آمن بقوة الشعب المتعلم، فوفر التعليم المجاني للمواطنين القطريين من الروضة حتى الجامعة، وخلال حكمه، فتحت الكثير من الجامعات الأمريكية مثل: كارنغي ميلون، تكساس أ و م، وجورج واشنطن Carnegie Mellon, Texas A&M, and Georgetown في مدينة قطر التعليمية. هذا الانفتاح الثقافي شمل الدين، فقد استضافت قطر مؤتمر الأديان السنوي، الذي ضم المسيحية، والإسلام واليهودية، كحدث لم يسبق له مثيل في المنطقة". (Rushing, 2007, p.120).

"وكما تابعت قطر الإصلاح الداخلي، فقد كان لها طموحات سياسية خارجية يمكن تلخيصها بمحاولة الانسجام مع الجميع. فقطر لديها روابط جدلية مع أمريكا، واسرائيل، والعراق، وإيران بذات الوقت، ورحبت بقيادة حماس المنفيين، وأعطت حق اللجوء السياسي لزوجته صدام، واستقبلت أعضاء مهمين من القاعدة قبل الحادي عشر من سبتمبر، وأوت القائد الشيشاني المسلم المطلوب من قبل روسيا.

وفي سياق التقليد القطري المستقل، لا تظهر الجزيرة كظاهرة غير عادية عموماً، فخلال حرب الخليج الأولى بقيت اعتراضات القطريين صامتة حيال تحويل الأمير دولتهم الصغيرة لحاملة طائرات أمريكية، إذ حصل تدمير من قرارات الأمير، ولكن هذا التدمير بقي خلف الأبواب المغلقة.

حصلت اعتراضات عرضية على إصلاحات الأمير، ولكن طالما أن هناك ازدهاراً مستمراً فإن معظم الناس مشغولين جداً بتنمية ثرواتهم بطريقة فاقت بكثير اهتمامهم بالتدمير والشكوى.

إن تأسيس قناة الجزيرة كان عملاً ليبرالياً، وليس ديمقراطياً، وما كان للقناة أن يكون لها اسم بتلك السرعة لو غير الأمير رأيه في أحد الأيام". (Miles, 2005, p.22-24).

منذ العام 1995 قدم الأمير القطري الجديد أفكاراً جديدة تقبلها المجتمع القطري الذي أصبح أكثر انفتاحاً على العالم من نواح عدة لم تقتصر على الإعلام فقط. وضمن هذا الزخم الكبير من التغييرات والإنجازات الكبيرة للأمير، جاءت قناة الجزيرة كواحدة من أهم هذه الإنجازات، ولكنها لا تمثل إنجازاً خارجاً عن المألوف إذا ما قورنت بباقي الإنجازات التي أصر الأمير على تحقيقها من خلال رؤيته الجديدة لدولة قطر، ولكن قناة الجزيرة تخطت حدود الدولة القطرية، وحاولت كسب ثقة المشاهد في الوطن العربي كله، لتصبح قصة الجزيرة مختلفة عن جميع قصص إنجازات الأمير العملاقة. "إن قصة الجزيرة هي ليست قصة مؤسسة إخبارية فقط. الجزيرة مرتبطة بشكل لا مفر منه بالأحداث الحالية الصاخبة في الشرق الأوسط- في أوقات كانت فيها في عين العاصفة- وبذلك فإن قصة هذه الشبكة الإخبارية في الواقع هي قصة الاضطرابات التي حصلت في تلك المنطقة في السنوات الأخيرة". (The same source, p.12).

"عدنان الشريف هو أحد مؤسسي قناة الجزيرة، الذي تحدث بشكل مثير للإعجاب عن BBC وتجربتها الرائدة في إطلاق قنواتها الناطقة بالعربية، رأى أن هذه التجربة هي بمثابة البذرة الصحيحة، والدافع القوي لقناة الجزيرة". (Al-Sadi, 2011, p.71).

" في نوفمبر 1996، أنشأ الأمير القناة الفضائية الجديدة "الجزيرة" مما تبقى من الرحلة القصيرة من النسخة العربية ذات الشكل السعودي لقناة ال BBC العالمية، والتي لم تستمر بسبب الاختلافات الثقافية والأخلاقية. وعندما أغلقت قناة ال BBC العربية، وُجد في الشرق الأوسط فائض من منتجي

ومراسلي الـ BBC المدربين؛ فاقنتص الأمير هذه الفرصة، وعين حوالي مئة وعشرين منهم لإطلاق القناة الجديدة. في ذلك الوقت، كان الإعلام العربي يمثل بقوة لسان حال الحكومات الممسكة بالسلطة. حتى وزارة المخابرات القطرية، وجدت للتحكم بالإعلام القطري. لكن الأمير الجديد كانت له رؤية إعلامية مختلفة، فكان الإعلام القطري أول إعلام عربي حر في الشرق الأوسط، إذ ألغى أمير قطر وزارة المخابرات في العام 1998، وأعطى مراسلي ومنتجي الجزيرة حرية عظيمة ورخصة طرح أسئلة حرجة، والقيام بتحدي العرف المنتشر، وهذه ممارسات اعتبرت الوزارة فيما مضى غير قانونية وخطيرة". (Rushing, 2007, pp.120-121).

"اعتمدت الجزيرة في البداية على منحة تمثلت "بمساعدة مالية من الأمير بلغت خمسة ملايين ريال قطري، أي ما يعادل (137 مليون دولار أمريكي)، وكان من المفترض أن تكون دفعة لمرة واحدة فقط. هذه المساعدة المالية كان من المفترض أن تغطي خمس سنوات، لتوفير الوقت اللازم للجزيرة للبدء بتحقيق استقلال مادي ذاتي من خلال عمليات تجارية تتضمن الإعلانات، واللقطات والبرامج الحصرية، وأيضاً تأجير المعدات للقنوات التلفزيونية الأخرى. ولكنها فشلت بتحقيق عوائد مادية بأي من هذه الطرق، وعلى كل حال، هي لا تزال تحصل على المساعدة المالية من الحكومة". (Miles, 2005, pp.28-29).

"بدأت الجزيرة ببث ست ساعات يومياً من القمر عرب سات، وفي يناير 1997 ازدادت ساعات البث لتصل إلى ثماني ساعات، ثم اثنتي عشرة ساعة يومياً". (The same source, p.34).

"في فبراير من العام 1999 بدأت الجزيرة بالبث لمدة 24 ساعة يومياً من ثلاثة أقمار صناعية مختلفة، لتغطي الشرق الأوسط، أمريكا الشمالية وأوروبا". (The same source, p.61).

أما الآن فقد أصبحت الجزيرة الإخبارية واحدة من قنوات عديدة، شكلت ما يسمى بشبكة قنوات الجزيرة، وهي قنوات متنوعة تعمل على بث برامجها على مدار الساعة، وقد رصدت منها الباحثة القنوات التالية: قناة الجزيرة الإخبارية، وقناة الجزيرة للأطفال، وقناة الجزيرة مباشر، وقناة الجزيرة مباشر مصر، وقناة الجزيرة الإنجليزية، وقناة الجزيرة الوثائقية، وقناة الجزيرة البلقان التي تغطي دول منطقة البلقان باللغة المحلية، والجزيرة الرياضية للأخبار، وقناة الجزيرة الرياضية التي تضم مجموعة من القنوات منها عشر قنوات رياضية مشفرة، وقناتان تبثان بتقنية الفيديو عالي

الوضوح، وبالإضافة إلى قناتين مفتوحتين. كما تشمل الشبكة المواقع التالية على شبكة الإنترنت: الجزيرة نت، ومركز الجزيرة للتدريب والتطوير الإعلامي، ومركز الجزيرة للدراسات.

تميزت القناة عن باقي القنوات العربية الإخبارية، إذ "اتبعت الجزيرة سياسة غير مسبوقة في المنطقة بطرح كل الحقائق والآراء على الطاولة، متحدية بشكل واضح سياسات المنطقة، ما أغضب العائلة المالكة في السعودية، السلطة الفلسطينية، إيران، مصر، وآخرين مثل: البحرين، الجزائر، الأردن، الكويت، السودان، وتونس". (Rushing, 2007, p.122).

أقر توماس فريدمان، الصحفي في جريدة نيويورك تايمز New York Times بأن الجزيرة "ليست فقط أكبر ظاهرة إعلامية هزت العالم العربي منذ اختراع التلفاز، ولكنها أيضا أكبر ظاهرة سياسية". (The same source, p.125).

"منحت الجزيرة لشريحة كبيرة من سكان المنطقة وسيلة للوصول للإعلام الحر عن طريق تخطي التحكم الحكومي بمعظم الإعلام في المنطقة. مع أنه من الصعب التعميم على اثنتين وعشرين دولة عربية مختلفة، إلا أنه "يمكنك القول وأنت مطمئن: إن الإعلام العربي قبل الجزيرة كان بشكل عام محكوماً، ممولاً، ويتم تشغيله بواسطة وزارات المخابرات" كما قال عادل اسكندر". (The same source, p.130).

منحت الجزيرة العرب الإعلام الذي كانوا يحتاجون له، بينما منحت القطريين ما هو أكبر من ذلك بكثير، فغيرت نظرتهم للعالم، ولفتت أنظار العالم لدولتهم الصغيرة. "غير الإعلام الجديد، وخاصة الجزيرة، بصورة كبيرة الطريقة التي ينظر بها القطريون لبقية العالم، ومن الواضح أن الجزيرة جعلتهم يشعرون بأن قطر هي لاعب على مستوى العالم". (Miles, 2005, p.22-24).

غطت القناة أحداثاً عربية في غاية الأهمية كالوحدة العربية، والصراع العربي – الإسرائيلي، والانتفاضة الفلسطينية، والحرب على العراق بطريقة تفوقت فيها على القنوات العربية الإخبارية الأخرى، فاكتسبت بذلك اهتماماً عربياً كبيراً، "ثلاثة قضايا سياسية أساسية تكشف النقاب عن نفسها على الفور: الوحدة العربية، والصراع العربي – الإسرائيلي، والحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق في العام 2003، لذلك أين تقف الدول العربية والرأي العام العربي من تلك

القضايا الثلاث؟" (Al-Sadi, 2011, p.41). لكن طموح قناة الجزيرة لم يقتصر على الاستحواد على اهتمام المشاهد العربي فقط، فقد بحثت الجزيرة عن مكانة عالمية لا تقل عن مكانة مثيلاتها من القنوات الإخبارية العالمية، واكتسبت المحطة اهتماماً عالمياً من خلال تغطيتها لأحداث دولية كهجمات 11 سبتمبر 2001 ، وعندما كانت القناة الوحيدة التي تغطي الحرب على أفغانستان على الهواء مباشرة من مكتبها هناك، ومن خلال بث أشرطة فيديو لأسامة بن لادن وغيره من زعماء القاعدة. ولكنها اكتسبت أيضاً اهتماماً بالغاً من الشعوب العربية؛ لتغطيتها المتميزه للثورات العربية في كل من تونس، مصر، ليبيا، سوريا، واليمن.

وفيما يلي لمحة عامة عن أهم الأحداث التي قامت الجزيرة بتغطيتها بطريقة مميزة أسهمت بوصول القناة إلى المكانة العربية، والعالمية التي تحظى بها حالياً:

أولاً، الأحداث المتعلقة بأسامة بن لادن، وتنظيم القاعدة.

انفردت الجزيرة ولمدة طويلة بتغطية متميزة للأحداث التي لها علاقة مباشرة بتنظيم القاعدة، وساعدها التنظيم نفسه على تحقيق ذلك عندما زودها بطريقة، أو بأخرى بالأشرطة الصوتية والمصورة للبيانات، والخطابات التي أراد التنظيم بثها، والكشف عن مضمونها، وكانت هذه الأشرطة تصل للجزيرة بطرائق عدة، فتارة تترك على باب يؤدي لمبنى القناة، وتارة أخرى تعطى لأحد أعضاء الجزيرة في الشارع العام عن طريق طفل صغير كما حصل في مصر مثلاً، وتارة عن طريق طرود بريدية، وغير ذلك من الوسائل التي ابتكرتها القاعدة لإيصال ما تريد إيصاله للقناة.

وأسهمت هذه الأشرطة في زيادة شهرة قناة الجزيرة على مستوى العالم، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، عندما أصبح بن لادن المطلوب رقم واحد على لائحة الإرهاب التي أعدتها أمريكا، وبثت القنوات العالمية كـ CNN و BBC كل ما يتعلق بهذه الأشرطة معتمدة بذلك على الجزيرة كمصدر أساسي لمعلوماتها. رأى بعضهم أن " أسامة بن لادن قام بدعاية ذاتية ماهرة عندما ظهر مبكراً على قناة الجزيرة، وفي ذلك الوقت كان أسامة بن لادن عملياً غير معروف في العالم الغربي، ولكنه كان مشهوراً، ويخشى تهديده في الشرق الأوسط. في أغسطس

من العام 1998 أصبح ابن لادن المشتبه به الرئيسي في تفجير سفارتي أمريكا في كل من كينيا وتونس، والتي قتل فيها أكثر من مائتي شخص وجرح الآلاف.

بحلول عيد الميلاد المجيد من ذات العام، أرسل بن لادن رسالة مسجلة للجزيرة، يدعو فيها المسلمين لقتل الأميركيين، والبريطانيين واليهود في فلسطين كرد فعل على الهجوم على العراق. قبل ذلك أجرت قناة ABC الإخبارية مقابلة مع بن لادن، وذلك ما لم تقم به أي قناة عربية أبداً من قبل. لذلك أعلنت الجزيرة في يونيو من العام 1999 بأنها تمتلك مقابلة حصرية مسجلة معه، ووجد الأمر صدئاً كبيراً في العالم العربي، وتم الترويج للمقابلة بشكل كبير، وكانت هناك بعض التوقعات عما يمكن أن تحتويه المقابلة في الصحافة". (Miles, 2005, p.52).

"في سبتمبر من العام 2000 وقع الهجوم على البارجة الأمريكية كول مقابل الساحل اليمني، وبثت الجزيرة شريطاً آخر لابن لادن يهدد فيه بالمضي قدماً للقيام بعمليات ضد القوات الأمريكية في الخليج الفارسي". (The same source, p.108).

"بقيت الجزيرة المصدر الرئيسي الأول لأخبار تنظيم القاعدة فـ"في ربيع العام 2006، ظهر شريط صوتي لابن لادن يتحدث فيه عن محاكمة زكريا موسوي، واثنين من موظفي الجزيرة اللذين تم اعتقالهما، وهما: سامي الحاج المصور الذي احتجز في غوانتانامو، وتيسير علّوني المرسل الذي تم اعتقاله في اسبانيا، وفي ذلك الشريط أنكر ابن لادن أي علاقة لهؤلاء الرجال بتنظيم القاعدة. وفي سبتمبر من العام نفسه، بثت الجزيرة شريطاً آخر للقاعدة أظهر مخطط ابن لادن المزعوم حول هجمات التاسع من سبتمبر". (Rushing, 2007, pp.154-155).

حظيت تغطية الجزيرة لأخبار تنظيم القاعدة وشخصياته باهتمام كبير على مستوى الدول الغربية الكبرى، جعلت هذه الدول تتبنى مواقف معينة من القناة، إذ "بسبب بثها بعض أسرطة ابن لادن، اعتبرت الولايات المتحدة قناة الجزيرة صوت القاعدة، بينما اعتبرت المنظمات الإرهابية نفسها، بالإضافة لعدد من الدول الإسلامية، غطاء للصهيونية". (The same source, p.122).

وتبنت بريطانيا موقفاً مؤيداً للولايات المتحدة عندما "أعلنت الصحف الشعبية البريطانية أن الجزيرة هي لسان حال ابن لادن والمتطرفين السوريين والفلسطينيين، وأطلقت الديلي تلغراف Daily Telegraph على الجزيرة اسم "تلفزيون بن لادن". (Miles, 2005, p112)

ثانياً، الأحداث المتعلقة بحركة حماس وقادتها.

كما اهتمت الجزيرة بالشأن الفلسطيني أيضاً، وبالذات حركة حماس، " قبل أن تأتي حماس للسلطة، استخدم قادتها الجزيرة لتقديم قضيتهم لجمهور عربي أكبر، وأحيانا لتوجيه ضربات للسلطة الفلسطينية. والحقيقة التي صدمت معظم الدول العربية هي إن الجزيرة بثت وجهات نظر إسرائيلية تبرر الموقف الإسرائيلي خلال الانتفاضة، فظهرت شخصيات إسرائيلية رسمية بشكل منتظم على الجزيرة، وقدمت مقابلات بالعبرية، والانجليزية والعربية. ومن السخرية أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي لم تطرد مراسلي الجزيرة ". (Rushing, 2007, pp.122-123).

"خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية -التي بدأت في أكتوبر من العام 2000 - أصبحت الجزيرة منتدىً لأولئك الذين لهم علاقة بالانتفاضة في الداخل، ونافذة لمن هم في الخارج. مما شكل صدمة للإسرائيليين، الذين انتهت سيطرتهم التقليدية على الإعلام، وأدركوا أن عليهم تطوير استراتيجيات جديدة؛ لكسب الرأي العام العالمي. حتى محطات التلفزة الغربية، التي حظيت بمكانة عالمية لفترات طويلة، بدأت بأخذ ملاحظاتها من الجزيرة في خريف العام 2000. بينما تابع العرب عموماً أحداث الانتفاضة ساعة بساعة، أصبحت الجزيرة اسماً متداولاً عبر العالم العربي، ومع ذلك بقيت غير معروفة بشكل كبير في الغرب". (Miles, 2005, p.68).

"أصبح الإعلام الدولي ينظر لتقرير الجزيرة اليومي الخاص بالصفة الغربية بذات الاحترام الذي ينظر به لوكالات الأنباء الغربية". (The same source, p.94).

"وحسب تقرير هيو مايلز Hugh Miles في العام 2006 حول السياسة الخارجية فإن (الجزيرة تغطي الأحداث الإسرائيلية بكثافة، وهي من القنوات التي تحظى بمشاهدة واسعة في إسرائيل. في الواقع، تعطي الجزيرة وقت بث للأحداث الإسرائيلية أكثر من أي قناة أخرى خارج إسرائيل

نفسها). كل هذا يعرض القناة للشك بأنها تتبنى وجهة النظر الإسرائيلية والأمريكية: حتى إن بعضهم في العالم العربي آمن بأن المحطة وجدت بمساعدة الموساد ودائرة الاستخبارات الأمريكية". (Rushing, 2007, p.123).

ثالثاً، الأحداث المتعلقة بالعراق.

"منذ العام 1997، عندما فتحت الجزيرة مكتباً في العاصمة العراقية، غطت القناة الأحداث العراقية أكثر من أي قناة إخبارية عربية أخرى. الأمر الذي أثار شكوكاً عميقة حول القناة تمثلت بأن القناة لها اهتمامات بالنظام العراقي أكثر من اهتمامها الوظيفي. أطلقت أمريكا وبريطانيا حملة عسكرية عقابية على العراق استمرت لمدة سبعين ساعة حملت اسم ثعلب الصحراء، وكانت الجزيرة القناة الإخبارية الوحيدة التي تحملت أن تكون شاهدة على موجات القنابل الموجهة بالليزر وصواريخ كروز التي كانت تهبط على بغداد، وكانت عملية ثعلب الصحراء هي العلامة الأولى لتغطية الجزيرة الإخبارية، واستخدمها النظام العراقي كقناته الإخبارية". (Miles, 2005, p.49).

"منحت الجزيرة مشاهديها صورة أكثر تعقيداً لقصة سجن أبو غريب وبالتالي للولايات المتحدة الأمريكية". (Rushing, 2007, p.153).

رابعاً، تغطية الجزيرة لأحداث (الربيع العربي).

كانت (الثورة) التونسية هي (الثورة) الأولى التي ألهبت حماس الشعوب في العالم العربي، وكان من الصعب تغطية ما يجري هناك في ظل الظروف التي كانت سائدة حينئذ، والتي وصفها لطفي حجي، مدير مكتب قناة الجزيرة في تونس، بأنها: " بكل تأكيد ظروف صعبة باعتبار المنع؛ إذ كنا في ذلك الوقت ممنوعين من التصوير، وكل الشركات التي تقترب منها للتصوير كانت تتعرض للعقوبات، فكنا نستعمل أساليبنا الخاصة في التعامل مع بعض المدونين (bloggers) لإخراج الصور؛ ما يعني أن هناك مناضلين حقوقيين، وهناك مدونون أبرزوا قدرة وشجاعة كبيرة في تلك الفترة على إصدار الصور، فكانت هي المصدر الكبير بطريقة فيها الكثير من السرية والمراوغة بالنسبة للرقيب، لأن نظام بن علي كان يفرض رقابة صارمة على الإنترنت. برز نوع من الإكبار

تجده في عيون المواطنين، مع التقدير الكبير للجزيرة؛ لأنهم يعتقدون أن الجزيرة أسهمت معهم بدرجة كبيرة في صناعة الثورة التونسية". (منصور، الجزيرة، 2011/11/9).

"خلال (الثورة المصرية) وبالتحديد يوم 30 يناير من العام 2011، أغلق مكتب قناة الجزيرة في مصر، وأصبح كل الإعلاميين ممنوعين رسمياً من العمل، وسحبت البطاقات الصحفية التي كانت ممنوحة لهم، ولم يعد هناك ستالايت للبث، ولا أجهزة ومع ذلك كان المشاهدون يرون تغطية على مدى 24 ساعة على شاشة الجزيرة من ميدان التحرير، وهنا برز دور المواطن الصحفي الذي أخذ على عاتقه مساعدة الإعلام بشكل عام؛ لنقل صورة ما يجري في مصر، وكما يقول منتصر مرعي، المنتج بقناة الجزيرة: إن المواطن البسيط استطاع أن ينقل الصورة الحقيقية، وأثبت كفاءة وشجاعة تفوق أحياناً الصحفي نفسه، أما هو فقد تسلم مهمة سرية، تمثلت بإنشاء نقطة بث تبقى الكاميرا حية في وسط ميدان التحرير عبر وجوه غير معروفة إذا ما أغلق مكتب الجزيرة". (المصدر السابق).

"كما قامت الجزيرة بدور مهم في (الثورة الليبية) أيضاً، يصفه عبد العظيم محمد، مدير مكتب الجزيرة في ليبيا، بأنه كان عبارة عن لحظات صعبة جداً، ولكنهم أدركوا " أن الكاميرا كان لها الدور الأكبر إن صح التعبير في إنجاح الثورة المصرية، وفي استمرار زخم هذه الثورة، ولعبت الجزيرة دوراً لا يُنكر بالثورة المصرية، وحتى في الثورة التونسية فكانت هذه الكاميرا غائبة تماماً في الساحة الليبية، والدخول إلى الساحة الليبية يعني الدخول إلى ساحة مجهولة جداً". استخدمت الجزيرة جهاز SNG وجهاز البيغن لتغطية الثورات، وهو جهاز بث صغير جداً مستحدث يحمل على الظهر كأنه حقيبة ظهر ويشبه Laptop". (المصدر السابق).

وعلى الرغم من كل التغطيات الجريئة التي قامت بها الجزيرة لأحداث تعدّ في معظم الأحيان خطيرة وجدلية، إلا أن الرؤية السائدة التي تبناها معظم مشاهدي الجزيرة تمثلت بعدم تناول الجزيرة للشؤون القطرية الحساسة بنفس الطريقة التي تناولت بها شؤون الدول المجاورة، وكان هناك شعور متنام بأن الجزيرة لا تقوم بتحليل ما يتعلق بالنظام القطري بنفس الطريقة التي تتناول فيها مواضيع خطيرة تخص جيرانها". (Miles, 2005, p.60).

(الربيع العربي)

في أواخر العام 2010 ، ومطلع العام 2011 ، انطلقت حركات احتجاجية سلمية ضخمة في معظم البلدان العربية أُطلق عليها اسم (الربيع العربي) أو (ثورات الربيع العربي). تشابهت دوافع هذه الحركات الاحتجاجية وأسبابها؛ نظراً لتشابه الظروف والمشاكل التي عانتها الدول العربية بشكل عام لعشرات السنين كانتشار الفساد، والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ، والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد العربية.

"حكم الدكتاتوريون العرب، الجنرالات، والملوك الدول العربية التي عانت من أوضاع اقتصادية، سياسية واجتماعية شديدة السوء، لدرجة أصبح فيها إسقاط الحاكم القديم أو محاولة إسقاطه لا يقدم الحل السحري الذي يؤدي للتخلص من جميع المشاكل الأخرى، بل إنه قد يكون سبباً في تعقيدها في بعض الأحيان. حافظت الدول البوليسية على الحكام عن طريق إخافة الناس لدفعهم لتقبل آثار هذا الحكم الاستبدادي، خاصةً ما يتعلق بالفساد والشعور بأن عملاء الدول يمكنهم الحصول على أي شيء يريدونه وبأي طريقة كانت. الأمر الذي أدى إلى زيادة الشعور بالاستياء من هذه الممارسات، فطفت على السطح المشاكل التي تم دفنها لفترات طويلة، في الأماكن التي انتفضت وتخلصت من ثقل الشعور بالخوف من الدولة البوليسية". (Bowen, 2012, p.2)

"عندما تنحى حسني مبارك عن الحكم بدأ الأمر وكأن حجارة الدمينو العربية ستبدأ بالانهيار كما انهارت مثيلاتها الشيوعية في أوروبا الشرقية في العام 1989. قبل تنحى مبارك بشهرين، أضرم التونسي محمد البوعزيزي النار في نفسه بعد تعرضه للإهانة من قبل مفتشين حكوميين لعدة مرات. شكل موته بداية الحركة الاحتجاجية التي انتشرت في تونس العاصمة، وأجبرت الرئيس الاستبدادي والفساد، زين العابدين بن علي، على الهرب للمملكة العربية السعودية. أثار هذا الأمر المشاعر بشكل كبير، لكن سقوط مبارك في مصر، مركز النقل التقليدي في العالم العربي، حفز المحتجين عبر المنطقة برمتها، فانتفض المحتجون في ليبيا، البحرين، اليمن و سوريا. بينما أجبرت الحكومات في الأردن، المغرب، الجزائر و عُمان على الحديث عن الإصلاحات السريعة. حتى المملكة العربية السعودية أعادت توجيه جزء كبير من عائداتها النفطية للتعليم والرفاهية التي أمل الملك أن تسكت أي استياءات جديدة". (The Same Source, p.3)

تمتلك معظم الدول العربية سجلاً سيئاً في حقوق الإنسان، وذلك لاستبداد الحكام وتشبثهم بالكراسي لعقود طويلة، بالإضافة لمجيئهم للحكم بطرائق غير شرعية. فالزعيم الليبي معمر القذافي على سبيل المثال جاء للحكم بانقلاب عسكري في العام 1969 اسماه ثورة الفاتح، واستمر في الحكم حتى أُطيح به في العام 2011 .

لم يكتف الحكام العرب بحكم شعوبهم بطريقتهم القمعية البوليسية لعشرات السنين فحسب، ولكن تفشت ظاهرة التوريث حتى في الجمهوريات، مما زاد من حالة اليأس والإحباط التي اجتاحت المواطنين الذين شعروا بأنهم لن يتخلصوا من هذا الوضع السيئ لسنين قادمة. " فحافظ الأسد مثلاً، أعد ابنه بادل لتسلم السلطات من بعده. ولكن حادث السيارة الذي أودى بحياته في العام 1994 حال دون ذلك، ليتم تحضير الابن الآخر بشار لتسلم هذا المنصب. في مصر لوحظ أن جمال، الابن الأصغر لمبارك، هو الشخصية التي يتم تحضيرها لتسلم السلطة بعد مبارك، وفي اليمن أدلى عبدالله صالح بعدة تصريحات في مناسبات عدة توحى بأن تسلم السلطة في اليمن سيبقى ضمن عائلة صالح وأولاده". (Bowen, 2012, p.4-5)

تشابهت الظروف كذلك في الأنظمة الملكية؛ نظراً لتبنيها نظام الحكم الملكي المطلق مما أدى لخروج مظاهرات في بعض الملكيات مثل: البحرين، الأردن، المغرب وسلطنة عُمان؛ للمطالبة بملكيات دستورية ومزيد من الحريات.

تميز (الربيع العربي) بظهور هتاف: "الشعب يريد إسقاط النظام"، وبالفعل نجحت (الثورات) بالإطاحة بأربعة أنظمة حتى الآن، فبعد هروب الرئيس التونسي زين العابدين بن علي نجحت (ثورة) 25 يناير المصرية بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك، ثم أدت (ثورة) 17 فبراير الليبية إلى قتل معمر القذافي وإسقاط نظامه، وأجبرت (الثورة) اليمنية علي عبد الله صالح على التنحي. ولا زالت هذه الحركات الاحتجاجية مستمرة حتى هذه اللحظة في بعض أنحاء الوطن العربي، ولكن أكبرها هي حركة الاحتجاجات في سوريا التي اتخذت شكلاً خاصاً؛ نظراً لقيام الجيش السوري بعمليات داخل سوريا بحجة محاربة العصابات المسلحة التي تهدد السوريين والتي تم إدخالها إلى سوريا لتنفيذ أجنداث خارجية.

بالإضافة إلى القمع والاستبداد، كانت الأوضاع المعيشية السيئة واحدة من أهم أسباب الثورات، فقد تفاقمت مشكلة البطالة بين الشباب العربي نظراً لضعف معدلات النمو الاقتصادي والخلل الذي يعاينه المناخ العام للاستثمار. كما أن غياب الدور الفعال للنقابات العمالية أدى إلى تدني الأجور وإلى إبرام عقود العمل غير الآمنة.

قاد هؤلاء الشباب هذه الاحتجاجات؛ للمطالبة بالقضاء على الفساد وإيجاد فرص عمل خاصة لحملة الشهادات الجامعية، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية. طغت مشاركة الشباب على مشاركة الأحزاب والكتل السياسية والرموز الدينية في معظم دول الربيع العربي. إذ عانى هؤلاء الشباب من الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية ذاتها في معظم هذه الدول، فالدوافع الأساسية للتحركات الشعبية هي ذاتها في تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا، البحرين، الجزائر، جيبوتي، العراق، الأردن، المغرب، الكويت، عُمان، السعودية، الجزائر، جيبوتي، مع وجود بعض الخصوصيات لدول بعينها كفلسطين مثلاً، فقد قام بالتحركات مجموعة من الشباب تحت اسم الحملة الوطنية الشبابية؛ لإنهاء الانقسام الفلسطيني (بين حركتي فتح وحماس)، والاحتجاجات اللبنانية التي كان من أهم أسبابها الرئيسة الاعتراض على وجود النظام الطائفي الذي يحكم لبنان منذ عقود، فجاءت هذه التحركات للمطالبة بنظام علماني مدني ينهي التقسيم الطائفي للبلاد الذي كان وقوداً للحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت بين عامي 1975 و1990. "إن معظم الذين تحركوا في العام 2011 ضد الأنظمة كانوا من جيل الشباب الذين كان لديهم الوعي السياسي الكافي وكانوا أكثر انفتاحاً على العالم الخارجي، هذه الفئة من الشباب كانت القنبلة الديمغرافية الأكثر أهمية، فتقريباً 60% من السكان كانوا تحت سن الثلاثين". (Bowen, 2012, p.5)

تشكل مصر مركز الثقل للوطن العربي، وتعدّ الحالة المصرية مثلاً للوضع الذي تعاينه معظم الدول العربية تقريباً، فالثورة المصرية التي اندلعت يوم الثلاثاء 25 يناير من العام 2011 جاءت - كباقي الثورات في الوطن العربي - احتجاجاً على سوء المعاملة خاصة بعد ظهور العديد من التسجيلات المصورة التي تظهر انتهاكات رجال الشرطة لحقوق الإنسان، واحتجاجاً على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. "كان الاستقرار، كما تريده أمريكا، هو أيولوجية مبارك. فقد حارب الإسلام السياسي، والحركات الجهادية المصرية، وأيد معاهدة السلام مع إسرائيل مع أنها لا تحظى بقبول شعبي لدى المصريين، كما عمل على المحافظة على مكانة القوات المسلحة المصرية

المؤسسة الأبرز. سمح بخصخصة بعض القطاعات الاقتصادية التي تم تأميمها في الحركات الثورية السابقة، مما أسعد الاقتصاديين الليبراليين في الغرب، وأثرى فئة قليلة من الأباطرة المصريين. أصبح مبارك في نظر الغرب السيد الذي يعتمد عليه للمحافظة على الوضع الفلسطيني الراهن الذي يعد مناسباً بالنسبة لإسرائيل." (Bowen, 2012, p.48)

"تم تحديد العلاقات الخارجية المصرية، وأعلن الجيش المصري سيطرته على قطاعات اقتصادية كثيرة، ليست ذات علاقة بالصناعات العسكرية بأي شكل من الأشكال، ولكنها محظورة تماماً عن الخصخصة، وامتلكت المؤسسة العسكرية المصرية أعمال مثل شركة مياه الربيع صافي، خدمات الطيران، خدمات الأمن، خدمات السفر، شركات الأحذية، تصنيع أجهزة المطابخ، الأراضي ومراكز التسوق". (Bradley, 2009, 204)

أدت الإطاحة ببعض الأنظمة العربية إلى ظهور تيار فكري جديد يدعو إلى إقامة الوحدة العربية بسواعد الشباب العرب، وعدم انتظار الأنظمة التي ركبت مطية القومية والوحدة العربية دون أن تحقق للعرب أو للعروبة شيئاً. استخدم الشباب صفحات الفيسبوك للدعوة لإحياء فكرة الوطن العربي الكبير، وذلك بعد أن شعروا بمواطنتهم وانتمائهم لبلدانهم من جديد. "في العام 2011 شعر العرب على امتداد الوطن العربي بأنهم مواطنون لأول مرة، ولم يقتصر هذا الشعور على المصريين الذين حملوا المكناس وعلب الطلاء لميدان التحرير. المواطنون في كل دولة أرادوا أن تكون لديهم القدرة على اختيار قادتهم والتخلص منهم في حال لم يؤديوا واجباتهم على أكمل وجه. أصبحوا يميلون إلى تفضيل القادة الذين يتمتعون بالقدرة على اتخاذ القرارات التي تسهل حياة المواطنين. العرب، كأمة أخرى، لا يريدون حكماً يعتمدون على الخوف ويمارسونه اعتماداً على الدولة البوليسية التي تلقي الرعب في قلوب الناس". (Bowen, 2012, p.3)

كما كان للربيع العربي انعكاسات كثيرة على الوطن العربي، كان له انعكاسات على دول إقليمية وعالمية أيضاً، فدخل كبرى كأمريكا وروسيا قد تخسر عشرات المليارات إذا انهارت صفقاتها المبرمة مع عملائها من الدول العربية التي شهدت أو تشهد ثورات أو احتجاجات شعبية على أنظمتها. كما أن دولة كأمريكا يهتما جداً أمن حليفتها إسرائيل في المنطقة التي شهدت طوال

السنوات الماضية استقراراً من هذه الناحية ضمنته عملية السلام التي لا تحظى بشعبية بين الأوساط العربية غير الرسمية.

أما إسرائيل نفسها فقد اهتمت بالتداعيات المحتملة لانتهيار الأنظمة على مسألة الشريك السياسي، كون هذه الأنظمة حافظت على الهدوء في المحيط الإسرائيلي لسنوات في الدول العربية المجاورة لها.

كما ظهرت احتجاجات عالمية تأثرت بالربيع العربي في دول مثل روسيا، الصين، إيران، وحركة احتلوا وولستريت.

أدت وسائل التواصل الاجتماعي دوراً مهماً خلال هذه التحركات الشعبية، فانتشار الأجهزة الخلوية والكاميرات الرقمية ساعد الشباب على تسجيل ونشر الكثير من الأحداث على مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة في المناطق التي مُنع الصحفيون الرسميون من دخولها، كما قام الإعلام الفضائي العربي بدور مهم رغم الانحيازات الواضحة لإبراز أحداث معينة على حساب أحداث أخرى أثارت الشك بمنهجية هذه القنوات. فقد تم تخطي الثورة العراقية وتجاهلها على سبيل المثال، مع ديمومة التغطية وتهويل الأحداث في مواقع أخرى اقل تأثيراً من العراق.

أدت قناة الجزيرة دوراً كبيراً خلال تغطيتها لأحداث الربيع العربي، أثار تساؤلات كثيرة حول القناة وحول الدور القطري في هذه الأحداث، فعلى الرغم من " أن قطر هي واحدة من اصغر الدول العربية إلا أنها تبدو كلاعب أساسي على الساحة السياسية العربية والإقليمية والدولية وقد أدى هذا إلى جدل واسع وتساؤلات حول طبيعة الدور القطري وأهدافه في ظل تحالفات أقامتها قطر مع الولايات المتحدة وبعض الدول الكبرى، فهل تقوم قطر بدورها نيابة عن الدول الكبرى، أم أنها طموحات أميرها وحكومته التي تجاوزت شبه الجزيرة الصغيرة لتصل إلى كثير من دول العالم؛ استثماراً تارة، ومساعدات تارة أخرى، أو وساطات سياسية، أو تأثيراً في صناعة القرار، أو صناعة المواقف السياسية العربية والإقليمية والدولية. ظهر الدور القطري كداعم بوضوح للثورات العربية إعلامياً كما في مصر. وبوضوح كداعم عسكري ولوجستي كما في ليبيا، وسياسياً واقتصادياً كما في تونس، أما في سوريا فتبدو قطر وكأنها تقود القاطرة العربية لإسقاط النظام هناك". (منصور، الجزيرة، 2012/3/28)

لم تتضح نتائج الربيع العربي بعد في الدول التي شهدت تغييراً لأنظمتها، بينما ما زالت الشعوب في الدول الأخرى تحاول تحقيق مكتسبات سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية. بل إن بعض هذه الشعوب دفعت أثماناً باهظة نتيجة لما يحدث في بلدانها كالشعب السوري الذي بلغت خسائره حتى الآن عشرات الآلاف من القتلى، ومثلهم من الجرحى والمهجرين والمفقودين، ناهيك عن الخسائر المادية التي لم يتضح حجمها الحقيقي حتى الآن، وما زالت الأحداث في سوريا مستمرة.

الفصل الثالث: منهجية الدراسة (الطريقة والإجراءات):

منهجية الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات النوعية التحليلية Qualitative Analytical Studies، لذلك فهي تعتمد على منهج تحليل الخطاب Discourse Analysis بشكل عام، وتحليل النص البلاغي Rhetorical Analysis بشكل خاص، والذي يعدّ شكلاً من أشكال القراءة النقدية الحثيثة، أو المعمقة للنصوص - والتي يسميها بعضهم Close Reading.

إن ما يميز هذه الطريقة النقدية هو إصرارها الحثيث على التعامل مع اللغة كوظيفة وكدالة فعل Language as Action، وكدافع Motive كما يسميه كينيث بيرك أكثر مما هي قيمة أدبية وجمالية. (Burke, 1974, pp. 20-22).

ومن المعروف أن تحليل الخطاب هو منهج الدراسات اللغوية قبل أن يكون لدراسة محتوى الإعلام، ويُعد من أهم المناهج التي وُجِدَتْ لها صدى كبيراً في الدراسات الإعلامية، وبصفة خاصة في مجال تحليل النصوص الإعلامية، وهو المنهج الذي يهتم بصفة خاصة بالأسباب والدوافع، مثل: لماذا كتب أو قيل ما يتم تحليله؟ ولماذا كتبه أو قاله القائم بالاتصال؟ وهي الإجابات التي يركز عليها تحليل الخطاب، وبصفة خاصة المراحل الخاصة بتحليل مسار البرهنة، وتحليل القوى الفاعلة، والأطر المرجعية، والأبعاد اللغوية في بناء النص وعلاقتها بالمعنى لدى كل من الكاتب، أو القائل والمتلقي. (عبد الحميد، 2010، 210).

إن طبيعة التساؤلات التي تطرحها هذه الدراسة، والأهداف المرجوة من ورائها، من الصعب التوصل إلى نتائج بشأنها من خلال أدوات البحوث الكمية Quantitative Studies، ذلك أن هذا النوع من البحوث لا يهتم بمضمون الرسالة بقدر ما يهتم بتكرارها، لذلك فمن شأن التحليل الكمي مجافاة الحقائق، إذ إن مضمون الرسالة عبر اللغة، أو عبر الرموز لا يمكن حصره بالتكرار والعدد، إذ تمتلك اللغة والرموز معاني كامنة، ومتنوعة ومتبدلة حسب السياق الاجتماعي، أو السياسي الذي تصدر فيه، لذلك فقد تركزت الانتقادات الموجهة إلى المناهج الكمية إلى عدم

موضوعية نتائج التحليل الكمي ودقتها ، وأن أدوات التحليل الكمي تقوم بتجزئة النص وتفنيته ؛ وتحويله إلى مجرد أرقام وبيانات إحصائية لا تكشف عن المعنى، أو المعاني التي يحملها النص.

"وفي مواجهة الاتجاهات الوضعية Positivism في البحث العلمي التي اعتمدت عليها العلوم الاجتماعية، بعد أن حققت هذه الاتجاهات نجاحها مع العلوم الطبيعية، في مواجهة هذه الاتجاهات التي اتسمت بها المدرسة الأمريكية بصفة خاصة، كان النقد الشديد لها ولأساليبها، وأدواتها لدى العديد من المدارس العلمية التي رفضت آلية البحث والدراسة العلمية للظواهر الإنسانية محاكاة للعلوم الطبيعية. وترفض ما استندت إليه مقولات الاتجاهات الوضعية في التجزيء، والوصف الكمي، والاستقراء في بناء النظرية العلمية". (عبد الحميد، 2010، ص 207)

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من جميع حلقات برنامج الاتجاه المعاكس التي تناولت الأزمة السورية، وذلك خلال الفترة الواقعة بين 2011/3/18 و 2012/9/30، والتي بلغ عددها ستاً وعشرين حلقة.

عينة الدراسة:

قامت الباحثة بعمل مسح شامل لجميع حلقات البرنامج خلال الفترة التي حددتها الدراسة، وحصرت الحلقات التي تناولت الأزمة السورية موضوع البحث، وكانت حصيلة هذه الحلقات ستاً وعشرين حلقة من أصل ثلاث وخمسين حلقة هي مجموع حلقات الاتجاه المعاكس التي تم بثها خلال هذه الفترة، والتي تناولت مواضيع أخرى ذات علاقة بـ (الربيع العربي) كالمف اليمني والمصري والبحريني على سبيل المثال لا الحصر. وهذا الكم الكبير من الحلقات التي تناولت الأزمة السورية بالتحديد يمثل نسبة نحو خمسين بالمئة من مجموع الحلقات كافة. لذلك قررت الباحثة اعتماد طريقة المسح الشامل لجميع الحلقات التي تناولت الأزمة السورية؛ للوقوف على الفكرة العامة التي يسعى القاسم لإبرازها من خلال السياق العام لجميع هذه الحلقات.

إجراءات الدراسة:

قامت الباحثة بإجراء تحليل النص البلاغي لخطاب برنامج الاتجاه المعاكس المتمثل بمقدمات الحلقات التي تتعلق بالحراك الشعبي في سوريا كنموذج لخطاب الجزيرة. ولفهم هذا الخطاب حول (الأزمة) السورية موضوع الدراسة الحالية، كان لا بد من البحث في آثار الآلة البلاغية الرئيسة ومدلولاتها التي تتركز عليها مقدمات البرنامج بشكل متكرر، وأعني بذلك السؤال البلاغي .Rhetorical Question

أظهر التحليل أنه قد تم استخدام هذه الأداة البلاغية لتحقيق هدفين رئيسيين، يمكن إجمالهما كما يلي:

أولاً: إظهار التماهي Identification ، أو التشبيك مع معتقدات غالبية المشاهدين ومشاعرهم .
ثانياً: نتيجة لإظهار القاسم تماهيه واتفاقه مع مبادئ ومشاعر المشاهدين فإن الآلة البلاغية (السؤال البلاغي) تمكنه من محاولة زحزحة الجمهور بعيداً عن تلك المبادئ والمشاعر دون تهميش أي منها. وهذه هي العملية التي أطلق عليها السعدي مصطلح التوافق الإزاحي Deflective Identification، و"نتيجة لهاتين العمليتين - التماهي والتوافق الإزاحي - يصبح من الممكن للقاسم دفع المشاهدين بلطف وسلاسة نحو تقبل سياسات، ومواقف تتعارض مع مبادئ غالبية المشاهدين ومشاعرهم. أي أن القاسم، بالمحصلة، يقوم بعمل إزاحة في مواقف الجمهور من حاجة مستندة إلى مبادئ راسخة معينة، لمعالجة مختلفة تماماً مبنية على الظروف Circumstances، والحقائق Facts، والعواقب Consequences، الخ... أو أي أسس أخرى قد تدفع المتلقي نحو إطار تفكير براغماتي بديلاً عن التفكير الدوغماتي. عند هذا المنعطف اللغوي يصبح من الممكن تشبيك مشاعر الجمهور، ومواقفه مع سياسات قطر البراغماتية". (Al-Sadi, 2011, p.82).

وللتأكد من نجاعة هذه الأداة البلاغية (السؤال البلاغي) في تحقيق الهدفين آنفي الذكر، قام القاسم باستخدامها بطرائق شتى، فهو على سبيل المثال، قد يستخدم السؤال البلاغي مقروناً

بالمصطلحات الخلاقة God Terms، أو الوسوم السياسية Political Labels التي تكافئها وظيفياً.

وفي أماكن أخرى، قد يستخدم الأسئلة البلاغية كأسئلة إيحائية Leading Questions بهدف محاولة إثارة تساؤلات في نفس المتلقي تقوده لمواقف منسجمة مع مواقف الحكومة القطرية.

وهناك طريقة أخرى تستخدم فيها الأسئلة البلاغية لإزاحة المشاهدين بعيداً عن مبادئ تحكم مشاعرهم، وبالتالي سلوكهم، وتتمثل هذه الطريقة باستخدام تلك الأسئلة البلاغية في بناء ما يسمى محاججة هشة Strawman Argument، يتم العمل من خلالها على استبدال موقف معين بموقف مماثل له بشكل سطحي، ولكنه لا يكافئه، ثم تحطيمه دون الاضطرار فعلاً إلى مناقشة الموقف الأصلي، أو دحضه.

أخيراً، وفي حال وجود رواية شائعة ومقبولة من قبل المشاهدين، يعمل المضيف على تفكيك نسيج هذه الرواية وحلته؛ لخلق حيز مفاهيمي في ذهن المتلقي، هذا الحيز (الفراغ) لا بد من إشغاله. وهنا يأتي دور السؤال البلاغي الذي يعمل على تزويد المشاهد بالمادة التي ستملأ الفراغ، وقد تكون هذه المادة "حقائق" جديدة ليست ذات مصداقية، تم تصنيعها من قبل المضيف نفسه.

مثال: في السؤال البلاغي : لماذا حرامٌ على المجلس الوطني التنسيق مع القوة الغربية إذا كان النظام السوري قد باع البلاد لإيران وروسيا؟ يقر القاسم حرمة فعل الاستعانة بالقوى الغربية لتحقيق أي هدف من قبل المجلس الوطني، لكنه بذات الوقت يعمل على تفكيك ترابط هذه الرواية، وحلته نسيجها عن طريق فصل فعل التنسيق مع الغرب عن المبدأ الرفض لهذا الفعل تماماً، ليربطه بواقع أو حقيقة تم تصنيعها من قبل القاسم نفسه، وهي إن النظام قد باع البلاد لإيران وروسيا، وبذلك يكون القاسم قد عمل على خلق ثغرات في الفكرة المبدئية الراسخة لدى الجمهور، وهي حرمة التنسيق مع القوى الغربية، ولكن دون أن يهاجمها، أو يحط من شأنها بشكل مباشر، ليزحزح الجمهور بعيداً عنها، بل يدعوهم لاتخاذ موقف معاكس لها تماماً يبيح التنسيق مع القوى الغربية؛ مبرراً هذا الموقف بـ " الحقيقة الجديدة التي قام هو بتصنيعها"، وهي بيع البلاد لروسيا وإيران.

بالمحصلة، وبغض النظر عن الكيفية التي تستخدم فيها الأسئلة البلاغية، فإنها تعمل على محاولة دفع Slippage المتلقي من منهج تعليلي Rehtorical Topic or Line of Reasoning قد لا يكون منسجماً مع سياسات الدولة القطرية، إلى منهج تعليلي يمكن تشبيكه مع ذات السياسات التي لا تحظى بقبول غالبية المشاهدين، من خلال تلك الأسئلة، وبهذه الطريقة يمكن الترويج لهذه السياسات دون إقرارها، أو تبنيها بشكل مباشر، ودون المخاطرة بتنفير المشاهدين، أو استفزازهم.

يبدو كل ذلك جلياً في الفصل الرابع من هذه الدراسة من خلال تحليلنا لعدة حلقات من برنامج الاتجاه المعاكس، والتي تتناول موضوعاً خلافياً كموضوع (الأزمة) السورية، ومواقف الأطراف المختلفة منها، ومناقشة النتائج والتوصيات في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

الفصل الرابع

الاتجاه المعاكس... أم ذات الاتجاه؟

ستبدأ الباحثة في هذا الفصل بتحليل مقدمات حلقات برنامج الاتجاه المعاكس التي تناولت الملف السوري في الفترة التي حددتها للدراسة، والممتدة من 18 مارس، 2011 - بداية الأزمة السورية - إلى 30 سبتمبر 2012.

وقع اختيار الباحثة على هذا البرنامج بالتحديد، نظراً للشعبية التي حظي بها منذ انطلاقة التي تزامنت مع انطلاقة قناة الجزيرة في نوفمبر 1996، وحفاظه على استمراريته لغاية الآن. إذ عدّ الكثيرون هذا البرنامج من أكثر برامج الجزيرة شهرة، وشعبية على مستوى العالم العربي كله. "أحد أكثر برامج الجزيرة شعبية هو برنامج الاتجاه المعاكس". (Rushing, 2007, p.124).

"الاتجاه المعاكس حظي بكل شيء، وبالتالي هو بلا شك، البرنامج الأكثر شعبية من نوعه في تاريخ التلفزيون العربي. (Miles, 2005, p. 39) "البرنامج الأكثر شهرة، والذات لا يزالان يبيان منذ تأسيس الجزيرة هما: الشريعة والحياة والاتجاه المعاكس الذي جاء على غرار برنامج نيران متقاطعة Crossfire على CNN الفضائية. الاتجاه المعاكس هو برنامج سياسي يعرض كل ثلاثاء لمدة تسعين دقيقة، ويقدمه الدكتور فيصل القاسم، الدرزي السوري الذي التحق بجامعة هيل Hull حيث درس فيها الدراما، وكانت أطروحة الدكتوراه التي قدمها القاسم دراسة عن المسرحيين البريطانيين المتمردين، وكانت تحكمه فكرة أن لدى الفن والدراما القدرة على تغيير المجتمع. الاتجاه المعاكس بلا شك، هو البرنامج الأكثر شهرة من نوعه في تاريخ التلفزيون العربي، وكان البرنامج مصدر العديد من النزاعات الدولية، وحرص على قطع علاقات دبلوماسية مع عدة دول جارة لقطر. احتاج برنامج الاتجاه المعاكس لبضعة أشهر ليصل إلى ذروته من الشهرة، وذلك لأن ضيوف البرنامج لم يكونوا متأكدين في البداية من المشاركة ببرنامج راديكالي لهذه الدرجة. وحالما وصل البرنامج لذروة شهرته، كان ببساطة مختلفاً عن أي شيء شوهد أبداً على التلفزيون العربي، حيث وصف القادة العرب، وللمرة الأولى، بأنهم أذئاب الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقد سياساتهم، وغدرهم وفسادهم بمرارة". (The same source, pp.38-39).

ولكن العديد من الشكاوى والتذمر من الجزيرة " متعلق بشكل مباشر ببرنامج الاتجاه المعاكس" (Miles, 2005, p.58) كما تلقى بعض ضيوفه تهديدات ومضايقات من جهات عدة، فمثلاً " الدكتورة وفاء سلطان، المولودة في سوريا والتي عاشت في لوس أنجلوس، واستضافها الاتجاه المعاكس في 2006/2/21، تعرضت للتهديد بالقتل خلال عرض البرنامج الذي انتقدت خلاله الفساد الحاصل تحت مظلة تعاليم القرآن ونشر ثقافة العنف، والبربرية باسم القرآن؛ ما أصبح حديث المدونات". (Rushing, 2007, pp.126-127).

ومما لا شك فيه أن هذا البرنامج يشكل دليلاً قوياً على تميز قناة الجزيرة بالمقارنة مع القنوات التلفزيونية العربية الأخرى. ويبدو هذا التميز جلياً في الخطاب السياسي للجزيرة الذي عادة ما يتناول شؤون النظام الحاكم في قطر بالنقد. هذا الأمر أكسب القناة ثقة الملايين من المشاهدين في الوطن العربي، وخارجه، علاوة على ذلك فقد " برزت دولة قطر كنموذج جديد للدول العربية، كما برز أميرها كنموذج جديد للحكام العرب أيضاً". (Al-Sadi,2011, p.209)

ولكن ورغم كل ذلك يبقى السؤال الأهم، وهو: هل يمثل خطاب البرنامج خطاباً ثورياً حقاً؟ بمعنى، هل هناك تناقض حقيقي بين مرتكزات الخطاب السياسي لهذا البرنامج (كنموذج يمثل الخطاب السياسي لقناة الجزيرة)، ومرتكزات الخطاب السياسي لدولة قطر حول الملف السوري؟

قد يظن المتابع للبرنامج للوهلة الأولى، أن هناك تناقضاً واضحاً بين خطابه، والخطاب السياسي الرسمي لدولة قطر، إلا أن الباحثة ترى أن هذا الخطاب متماه مع الخطاب السياسي لدولة قطر، بل إنه يخدم هذا الخطاب السياسي، ويروج له تماماً كما يفعل الإعلام الرسمي العربي بشكل عام تجاه الخطابات السياسية للأنظمة الراعية له، إذ إن هناك تماهياً مع الاتجاهات السياسية المعلنة لدولة قطر، والمتمثلة بتصريحات رسمية تصدر عن شخصيات رسمية قطرية.

ولفهم مدلولات هذا الخطاب حول الأزمة السورية موضوع الدراسة الحالية، لا بد من البحث في آثار الآلة البلاغية الرئيسة ومدلولاتها، التي تركز عليها مقدمات البرنامج بشكل متكرر، أعني بذلك السؤال البلاغي Rhetorical Question الذي يشكل مقدمات الحلقات قيد الدراسة، ومن المفيد هنا التذكير بأن السؤال البلاغي - والذي تكون الإجابة عنه دائماً بنعم أو لا- ما هو إلا صياغة لما يدعي المتحدث أنه حقيقة؛ محاولة منه لإبراز هذه الحقيقة، وتثبيتها في ذهن المتلقي.

يبدأ المضيف كل حلقة من حلقات الاتجاه المعاكس بإعطاء مقدمة لموضوع النقاش، وهذه المقدمة تنقسم إلى جزئين لغويين منفصلين بوضوح، يستعرض في أحدهما وجهة نظر، وفي الأخرى وجهة النظر في (الاتجاه المعاكس)، ومن الجدير بالذكر أن الجزء الثاني من كل مقدمة يبدأ بعبارة: (لكن في المقابل).

تتكون المقدمة بجزأها من مجموعة من الأسئلة التي من المفترض أن تلخص للمشاهد وجهتي النظر المتعاكستين. لكن هذه الأسئلة المطروحة هي ليست أسئلة حقيقية بل أسئلة بلاغية، تخفي محاولة من قبل المضيف للتأثير على الجمهور؛ وذلك بدفعه باتجاه إحدى وجهتي النظر، والتي لا تتسجم حقيقة مع وجهة نظر غالبية جمهور المشاهدين ومشاعرهم. على العكس تماماً، فإن وجهة النظر تلك تناقض مبادئ غالبية جمهور المشاهدين وتطلعاتهم، وتخلق في ذات الوقت في مخيلتهم حيزاً مفاهيمياً يساعد على تقبل المشاهدين لوجهة النظر القطرية الرسمية.

تتجلى أولى المحاولات لتأطير (الأزمة) السورية بطريقة تجعل من الممكن الدفاع عن فكرة اسقاط النظام السوري بكل مؤسساته، بداية من خلال السياق العام الذي يظهر من خلال الأسئلة البلاغية، وما يميز هذا السياق العام بشكل رئيسي هو الوجود الطاعني لهذه الأزمة في حلقات البرنامج، إذ قاربت نسبة عدد الحلقات التي تناولت الأزمة في فترة الدراسة الخمسين بالمئة من مجموع الحلقات كافة.

لذا يصبح (الطغيان) فكرة خلاقة، أو مكوناً أساسياً من مكونات هذا الخطاب السياسي. فمثلاً، ومع مقارنة المساحة التي أفردتها البرنامج لملف لا يقل أهمية وهو ملف البحرين، يشكل الطغيان - بحد ذاته - أول المحاولات لترتيب أولويات الجمهور بوضع الملف السوري على قائمة هذه الأولويات.

وهذا بالضبط هو جوهر نظرية ترتيب الأولويات التي تصف قدرة وسائل الإعلام على إبراز موضوعات معينة على حساب موضوعات أخرى قد تكون أكثر أهمية، إذ "نفترض هذه النظرية أنه كلما كانت الأخبار أكثر بروزاً - من حيث عدد التكرارات وحجم التغطية - زادت أهمية الأخبار بالنسبة للجمهور". (Iyengar; Kinder, 1987, p.16).

وصل عدد الحلقات الي تناولت الأزمة السورية في فترة الدراسة إلى ستٍ وعشرين حلقة*، من أصل ثلاث وخمسين تناولت أحداث (الربيع العربي) بشكل عام.

بعد توظيف فكرة الطغيان وسيلة إبراز لأهمية الملف السوري، يتم توظيف الأسئلة البلاغية وسيلة لفرض إطار مفاهيمي في ذهن المشاهد فيما يتعلق بالملف السوري، وهذا التأطير للملف السوري يرتكز على فرضية أساسية واحدة ذات شقين يمكن تلخيصهما بما يلي:

أولاً، استحالة تحقيق آمال الشعب السوري، وتطلعاته عبر الوسائل السلمية، وإصلاح النظام القائم.

ثانياً، ضرورة سقوط النظام بكامل مؤسساته كشرط مسبق لتحقيق تلك الآمال والتطلعات.

إن هذه الفرضية غير المعلنة، والتي يمكن استقراؤها في مجموع المقدمات النظرية Premises للبرنامج، تهدف إلى زحزحة جمهور المشاهدين عن أي مبادئ يؤمنون بها، والتي قد تدفعهم بعيداً عن فكرة إسقاط النظام ومؤسساته، وبالتالي جعل المشاهدين أكثر استعداداً لقبول وجهة النظر القطرية سبيلاً لحل الأزمة السورية.

* خرافات الجماعات المسلحة في سوريا (2011/9/13)، هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم (2011/9/20)، المجلس الوطني السوري (2011/10/11)، لبنان والثورة السورية (2011/11/8)، الجامعة العربية و سوريا (2011/11/15)، المراقبون العرب بسوريا شاهد ما شفش حاجة (2012/1/10)، مصير النظام السوري (2012/1/31)، مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري (2012/2/7)، الجيش السوري جيش وطني أم جيش احتلال؟ (2012/2/14)، دستور سوريا نقلة أم ضحك على الذقون؟ (2012/2/21)، هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟ (2012/2/28)، عام على الثورة السورية (2012/3/13)، تسليح الثوار السوريين (2012/3/20)، الانقسام العربي حيال الأزمة السورية (2012/3/27)، من يصدق الإعلام السوري (2012/4/10)، لماذا يتآمر النظام العراقي على الشعب السوري؟ (2012/4/17)، هل يريد النظام السوري الإصلاح فعلاً؟ (2012/5/15)، من يقف وراء التفجيرات في سوريا؟ (2012/5/29)، من المرتزقة في سوريا: الثوار أم الشبيحة؟ (2012/6/12)، هل أصبحت روسيا شريكا في ذبح الشعب السوري؟ (2012/6/26)، هل بدأت القبائل السورية تتحرك ضد النظام؟ (2012/7/17)، من اغتال كبار القادة العسكريين والأمنيين بسوريا؟ (2012/7/24)، متى ينتحى الأسد؟ (2012/7/31)، هل يسعى النظام السوري لتقسيم سوريا؟ (2012/8/7)، هل تتعرض سوريا لمؤامرة كونية؟ (2012/9/11)، هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟ (2012/9/25).

تتجلى هذه الفرضية في تأطير (الأزمة) السورية ضمن أطر معينة، وضعت اعتماداً على براغماتية المشاهد العربي؛ لدفعه لتبني الحل الذي يرى فيه الفائدة والمصلحة الآنية، التي اختارها بناءً على ما تمليه عليه عواطفه، أو لدفع ظرف طارئ تعرض له الشعب السوري الأمر الذي أثار عواطف المشاهد ومخاوفه، وتوصلت الباحثة لهذه الأطر بعد القيام التحليل الجزئي Micro Analysis للأسئلة التي شكلت مقدمات الحلقات، واستخلاص الأفكار التي تدور حولها، ثم القيام بعملية التحليل الكلي Macro Analysis لهذه الأسئلة، ثم تجميع الأفكار المتشابهة تحت عنقود واحد فيما يعرف بالتحليل العنقودي Cluster Analysis والذي وجدت الباحثة من خلاله أن الحلقات التي تتناول (الأزمة) السورية جاءت ضمن أربعة أطر رئيسية، جعلت منها الباحثة محاور لبحثها، وأطلقت عليها عناوين توضح الإطار الذي وضع فيه كل من هذه المحاور الأربعة التي سنتناقش الباحثة كلا منها على حدة.

يمكن تلخيص هذه المحاور كما يلي:

المحور الأول: عسكرة الحركات الشعبية، والتدخل الخارجي سبيلاً لحل الأزمة السورية.

المحور الثاني: النظام والجيش وجهان لعملة واحدة، وتفكيكها فكرة وطنية وأخلاقية.

المحور الثالث: عبثية الفكر القومي، والمقاومة.

المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو.

المحور الأول: استحالة الإصلاح وضرورة العسكرية والتدخل الخارجي لحل الأزمة السورية

تَمَيَّزَ خطاب البرنامج تجاه (الأزمة) السورية عن خطابه تجاه جميع مجريات وأحداث (الربيع العربي)، ليس بعدد الحلقات التي تناولت الأزمة فقط ، بل في طرحه لقضية عسكرية التحركات الشعبية.* ومن الجدير بالملاحظة ان محاولة المضيف الحثيثة لتصنيع حقائق جديدة تخلق في ذهن المتلقي مقارنة بين النظام السوري، والعدو الصهيوني، تصبح هذه المقاربة فكرة خلاقة تولد مجموعةً من الأسئلة في ذهن المتلقي بشأن ادعاء النظام السوري لتمثيله محور المقاومة والممانعة في الوطن العربي. بمعنى آخر تعادل هذه المقاربة وظيفياً ما يدعى بـ Understatement والتي تعني حرمان هذه الفكرة من الكثير من وزنها، فبغيباب هذه الفكرة يصبح المشاهد أكثر استعداداً لتقبل فكرة إسقاط النظام السوري بأي ثمن، وهذه الفكرة الخلاقة ومثيلاتها يمكن استقراؤها في جل الأسئلة البلاغية التي تكررت بصيغ مختلفة في حلقات عدة.**

خذ على سبيل المثال السؤال البلاغي: (لماذا حرامٌ على المجلس الوطني التنسيق مع القوة الغربية إذا كان النظام السوري قد باع البلاد لإيران وروسيا؟) (2011/10/11)، أو السؤال البلاغي: (ما هذا النفاق! لماذا حلال على نظام المالكي أن يتحالف مع الشياطين الزرق لإسقاط نظام صدام، بينما يعارض التدخل الخارجي لمساعدة الشعب السوري في التخلص من طواغيته؟) (2012/4/17) . ما كان من الممكن إثارة أسئلة من هذا النوع دون التشكيك بداية بكون النظام السوري ممثلاً لتيار المقاومة والممانعة بمعنى أن هذه الحقيقة المصنعة من قبل مقدم البرنامج مكنته من حلحلة الرواية السياسية حول النظام السوري بما يتيح له إقحام مقدمات نظرية جديدة في هذا النسيج على أمل أن يستخدمها المشاهد في أخذ موقف من فكرة إسقاط هذا النظام بأي ثمن. ففي السؤال الأول مثلاً تُقدم فكرة بيع سوريا لإيران وروسيا، كمقدمة نظرية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرفضون فكرة التدخل الخارجي من أساسها.

* هذا الطرح الذي كان غائباً عن الخطاب السياسي للقاسم في جميع الحالات باستثناء حالتين فقط هما: الأزمة السورية والانتفاضة الفلسطينية في حلقة الجهاد ودوره في مواجهة العدو الصهيوني، بتاريخ (2000/10/24) ** حلقة (المجلس الوطني السوري). حلقة (مصير النظام السوري). حلقة (هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟). حلقة (عام على الثورة السورية). حلقة (تسليح الثوار السوريين). حلقة (لماذا يتأمر النظام العراقي على الشعب السوري؟). حلقة (هل يريد النظام السوري الإصلاح فعلاً؟).

أي أنه يجري تهميش هذه المبادئ كأسس للحكم دون الحاجة لمهاجمتها، وتتكسر ذات المحاولة في السؤال الثاني، بفصل فكرة التدخل الخارجي (لمساعدة الشعب السوري للتخلص من طواغيته) عن أي مبدأ قد يجعل هذه الفكرة مرفوضة من قبل غالبية المشاهدين، الذين يتم تزويدهم بأساس نظري بديل، وهو: (ما هذا النفاق! لماذا حلال على نظام المالكي أن يتحالف مع الشياطين الزرق لإسقاط نظام صدام) . وبذلك تتم زحزحة الجمهور عن الفكرة المبدئية الراسخة لديه، وهي حرمة التنسيق مع القوى الغربية، ولكن دون مهاجمتها، أو الحط من شأنها بشكل مباشر، ثم لتتم دعوتهم لتبني موقف معاكس لها تماماً يبيح التنسيق مع القوى الغربية، استناداً إلى (الظروف) التي صنعت وهي أولاً، بيع النظام السوري للبلاد لإيران وروسيا، وثانياً (وجود سابقة) تتمثل في تعامل النظام العراقي مع هذه الظاهرة.

كما تضمنت الأسئلة البلاغية التي أثّرت في وقت مبكر من عمر الأزمة أسساً نظرية أخرى، تتم دعوة المتلقين من خلالها إلى استخدام فرضية مشروعية حق الدفاع عن النفس كبديل عن الرفض المبدئي لعسكرة الانتفاضة، وهنا يدفع مقدم البرنامج مبدأً مقبولاً بمبدأ آخر لا يقل مقبولية عنه (حق الدفاع عن النفس) كما في السؤال البلاغي الذي أثّرت في حلقة (2012/1/1) والذي جاء كما يلي:

– أليس من حقه (الشعب السوري) أن يستخدم حتى سكاكين المطبخ للدفاع عن نفسه؟

إن الفعل اللغوي لسؤال كهذا يتمثل بالمقدرة على إعادة تشبيك موقف يتناقض ومواقف ومشاعر الكثير من المشاهدين بموقف يتناسب تماماً مع تلك المشاعر، علاوة على ذلك فإن سؤالاً مثل هذا يفصل فكرة العسكرة والتسلح عن مواقف الحكومات العربية غير الشعبية التي تتبنى مثل هذا الموقف غير الشعبي، وذات الفكرة يمكن استنباطها من سؤال حلقة (2012/3/13).

– متى يدرك الثوار أن المظاهرات السلمية لا تسقط نظاماً قرر استخدام كل ترسانته العسكرية لقمع المحتجين؟

في هذا السؤال نتلمس فعل عدة أدوات بلاغية يتم توظيفها لغرض تصنيع حقيقة جديدة (استخدام النظام لكل ترسانته العسكرية لقمع المحتجين) ؛ فمصطلح (ثوار) مثلاً يحمل معاني إيجابية كثيرة

في عقول المشاهدين التواقين للحرية، والديمقراطية الأمر الذي يعطي هؤلاء (الثوار) شرعيةً وقبولاً، واحتراماً لدى جمهور المتلقين، أما استخدام مصطلحي (المظاهرات السلمية والمحتجين) فيعطي انطباعاً بأن ما يجري في سوريا هو مظاهرات سلمية، واحتجاجات فقط هي حق مشروع لكل الشعوب، ولكن هذا الحق قوبل بالقمع من قبل ترسانة عسكرية.

تمثل هذه المصطلحات الخلاقة فرضية نظرية بديلة، من شأنها في حال استخدامها من قبل الجمهور أن تزرحه بعيداً عن أي موقف مبدئي. أي أنها بالمحصلة تدفع الجمهور بطريقة غير مباشرة نحو موقف يرتكز على (حقيقة جديدة)، أو (ظرف طارئ) مثل: استخدام النظام كل ترسانته العسكرية لقمع المحتجين). مرة أخرى يتم تشبيك إجراء غير شعبي بعواطف الجمهور الراض للطيغان وأحاسيسه ، وفي ذات الوقت يتم فصل هذا الإجراء غير الشعبي عن سياسات نظام غير شعبي يتبنى مثل هذا الإجراء (كقطر مثلاً).

كل ما تقدم من أساليب لغوية توظف في زحزحة الجمهور بعيداً عن مبادئ يؤمنون بها، وتحكم بالمحصلة مواقفهم من (الأزمة) السورية، وتتجسد بصورة واضحة في الفرضيات البديلة التي ارتكزت عليها الأسئلة البلاغية في عدة حلقات مثل:

(هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟)، (تسليح الثوار السوريين)، (هل يريد النظام السوري الإصلاح فعلاً؟) ، وستقوم الباحثة بتحليل كل منها بشقيها الاتجاه، والاتجاه المقابل.

خذ مثلاً الأسئلة البلاغية التي وردت في حلقة (هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟):

- أليست القوات والاستخبارات الروسية والإيرانية والعراقية واللبنانية تعمل جنبا إلى جنب مع القوات السورية لسحق الثورة؟
- أليس معظم الذين ينتصتون على مكالمات الثوار، ويرصدونها إيرانيين؟
- أليست أجهزة الرصد والتنصت التي تستخدمها أجهزة الأمن السورية إيرانية وروسية؟
- ألم يتهم بعضهم إيران بالتشويش على الفضائيات العربية التي تغطي الثورة السورية؟
- ألا يقضي السفير الإيراني في دمشق معظم وقته في القصر الجمهوري؛ لمساعدة القيادة في قمع الثورة على طريقة قمع الباسيج للانتفاضة الإيرانية الخضراء؟

- ألا تحمي قوات حزب الله اللبنانية الحدود مع سوريا لخنق الثوار؟ ناهيك عن دعمها العسكري، واللوجستي للقوات السورية على الأرض.
- أليست قطعان جيش المهدي العراق - إيرانية متورطة في ذبح الثوار؟
- ألا يدعم العراق النظام السوري نفطياً ومالياً؟
- لماذا إذن حلال على النظام السوري الاستعانة بحلفائه على أبناء وطنه الثائرين بينما حرام على الثوار الحصول على سلاح يدافعون فيه عن أهلهم وذويهم؟
- هل يعقل أن يواجه الشعب السوري آلة القتل النظامي بصدور عارية حتى يفنى؟

في الغالبية الساحقة لهذه الأسئلة يُزود جمهور المشاهدين بمجموعة حقائق (مصنعة في الأغلب)، والتي من شأنها : أولاً، فك ارتباط فكرة التدخل عن سياسات الغرب الذي يمثل في ذهن المشاهد العربي قوة استعمارية ذات أجندة مرفوضة. وثانياً، تصوير ظرف استثنائي جديد يسمح بإعادة تأطير فكرة التدخل بتمثيلها كردة فعل لا كفعل. خذ على سبيل المثال ما يوحي به السؤال الأول: أليست القوات والاستخبارات الروسية والإيرانية والعراقية واللبنانية تعمل جنباً إلى جنب مع القوات السورية لسحق الثورة؟ و لكون طبيعة هذا السؤال بلاغية فإن هناك محاولة لاستخلاص إجابة الجمهور على ذلك ببلى. على ذلك يمثل السؤال حقيقة أو ما يراد له أن يكون حقيقة، هذه الحقيقة بحد ذاتها تدعو المشاهد لإعادة فهم فكرة (التدخل). فالتدخل هنا هو ليس فعلاً سيحصل، بل هو فعل حاصل. والقائم بهذا التدخل هو المحور الروسي - الإيراني، والداعي له هو النظام السوري. هذه الحقيقة المصنعة الجديدة تجعل من التدخل الغربي المتوقع ردة فعل على ممارسة قمعية من النظام، وليس فعلاً من قبل الأطراف التي تقبل فكرة التدخل الغربي. بناءً على ذلك فإن هذا السؤال البلاغي يربط فكرة التدخل الغربي المتوقع بما سبق التأكيد عليه من (حق الدفاع عن النفس). بمعنى فك الارتباط المعنوي بين فكرة التدخل الغربي، والمخططات الغربية التي برأي الكثير من المشاهدين أنها تسعى لتدمير سوريا وإضعافها. وبالمحصلة فإن هذا السؤال البلاغي - شأنه شأن الأسئلة البلاغية المتبقية في الحلقة- يدفع المشاهد بلطف نحو فهم فكرة التدخل الغربي على الأكثر كباطل ضروري بمواجهة باطل واقع. على ذلك يكون قد تم حلحلة نسيج رواية التدخل الأجنبي بطريقة تخلق فراغاً يجعل من الممكن ملؤه بمواقف براغماتية كالموقف القطري والخليجي بشكل عام.

في الجزء الثاني من مقدمة هذه الحلقة (لكن في المقابل)، يعاد إنتاج ذات الفكرة مما يؤكد وجود توجه واحد للخطاب في جزأي الحلقة، وليس توجيهين كما يدعي مقدم البرنامج، ويتم العمل على تحقيق ذلك بصورة غير مباشرة عن طريق خلق محاكاة معاكسة ضعيفة يُطلق عليها اسم محاكاة هشة Strawman Argument، ليعمل المضيف بنفسه على تحطيمها كما سيتضح من خلال تحليل الأسئلة البلاغية التالية من ذات الحلقة (هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟):

- هل كان للثوار والمتمردين أن يصمدوا كل هذا الوقت في وجه القوات السورية لولا الدعم الخارجي من جهات عدة؟
- أليست الحدود السورية مفتوحة من أكثر من جهة كي يتدفق السلاح على الثائرين؟
- ألم يعترف أحد أعضاء المجلس الوطني السوري بحيازة الثوار أسلحة فتاكة؟
- ألم تعلن أكثر من جهة عن دعم الثورة السورية بكل أنواع السلاح؟
- أليس من حق الجيش السوري استعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد بينما لا يحق للمتمردين التسلح والعبث بأمنها؟
- أليس من شأن التدخل الخارجي أن يدفع سوريا إلى أتون حرب أهلية ضروس؟

في هذا المقطع من المقدمة كان يفترض بمقدم البرنامج أن يناقش محظورات التدخل الخارجي وأخطاره على سوريا والشعب السوري، ولكنك بدلاً من ذلك تشعر بالجهد الذي يقوم به في الامتناع عن فهم أبعاد التدخل الخارجي، ومناقشة أخطاره الاستعمارية بشكل عام، والعمل بشكل مقصود على رسم صورة ضبابية لمفهومي عسكرة الانتفاضة، والتدخل الخارجي في سوريا، فهناك إزاحة عن القراءة المفاهيمية والمنطقية للتدخل الخارجي، واستبدالها بقراءة براغماتية تدغدغ مشاعر المشاهدين. فاستخدام المصطلح الخلاق (الثوار) في جميع أسئلة هذا الجزء البلاغية، يوجي بإعطاء الحق لمن يحمل السلاح بحمله، كما أن استخدام تعبير (صمود الثوار في وجه القوات السورية) يشكل صورة إيجابية لرفع السلاح في وجه القوات السورية. كما يعتمد المضيف استخدام الخطاب الإقصائي Exclusion Discourse لإخفاء أدوار بعضهم أو تهميشها، فهو هنا مثلاً يقر بتدفق السلاح من أكثر من جهة حدودية على (الثائرين)، ولكن دون الإشارة إلى هذه الجهات بشكل صريح كما فعل عندما أشار إلى المحور الروسي - الإيراني في المقطع الأول من المقدمة، كما

أنه لا يعدّ هذا التزويد بالسلح تدخلاً خارجياً في شؤون الدولة السورية، بل اعتبره أمراً يتم عبر طرائق غير رسمية، تبناها بعض المؤيدين (للثورة) الذين اعتبروا التسليح ضرورة لدعم هذه (الثورة). ثم ربط التدخل الخارجي بدفع البلاد إلى أتون حرب أهلية ضروس. ولكن علينا أن لا ننسى هنا أن هذا التدخل الخارجي قد تم تحديده بشكل صريح منذ بداية الحلقة بجهات معينة فقط، تم حصرها بالمحور الروسي – الإيراني، واستثنت جميع المحاور الأخرى.

يستخدم ذات الطرح الذي استخدم في تبرير التدخل الخارجي، لتبرير عسكرة الانتفاضة، كما يبدو في السؤال البلاغي: (لماذا إذن حلال على النظام السوري الاستعانة بحلفائه على أبناء وطنه الثائرين بينما حرام على الثوار الحصول على سلاح يدافعون فيه عن أهلهم وذويهم؟) (2012/2/28)، أو السؤال البلاغي: (لماذا حلال على النظام السوري التزود بأحدث الأسلحة لذبح الشعب الأعزل، وحرام على شعب امتلاك أسلحة بسيطة للدفاع عن أعراضه وحرائه؟) (2012/3/20). إذ يتبنى القاسم الدعوة لحمل السلاح، عن طريق الاستناد إلى (حقيقة) استعانة النظام بقوات عديدة لقمع شعبه، متمثلة (بمحور الشر الجديد؛ روسيا، إيران)، أو (حقيقة) أن (النظام حلل نفسه التزود بأحدث الأسلحة لذبح الشعب الأعزل)، وهذه (الحقائق) مكنت القاسم من العمل على خلق فراغات مفاهيمية في أذهان المشاهدين ليزحزحهم بعيداً عن المحاجة المرتكزة على مبدأ تأييد الثورة السلمية ورفض التسليح، إلى محاجة مبنية على واقع يبيح هذا التسليح، ينادي به ضرورة ملحة فرضتها الظروف المتمثلة بحق الدفاع عن النفس، والأهل وأعراض الحرائر، فقُدمت فكرة استعانة النظام بروسيا وإيران لقمع الشعب، وفكرة تزويد النظام بأحدث الأسلحة لذبح الشعب، كمقدمتين نظريتين بديلتين عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرفضون فكرة التسليح، ليدعوهم لتبني موقف معاكس لها تماماً ينادي بالتسليح. ومن الجدير بالملاحظة اقتران هذين السؤالين أيضاً بذات المصطلحات الخلاقة (الثوار، الحلال، والحرام)، والتي سيتم العمل على تكرارها في السياق الكلي للحلقات من أجل تحقيق غاية محددة.

ولكن فكرة التسليح تجلت بشكل صريح جداً في حلقة خاصة دعت للعسكرة والتسليح، حملت عنوان (تسليح الثوار السوريين)، وتم العمل على توجيه مسارها وتأطيرها منذ البداية لصالح فكرة حمل السلاح التي بررتها الأسئلة البلاغية بأكثر من طريقة كما يبدو في الأسئلة التالية:

– ألا يواجه الشعب السوري عدوا يفوق العدو الصهيوني عدة مرات، ومرات بالوحشية والهمجية؟

- ألا يبدو الصهاينة حملانا وديعة مقارنة بقطعان الشبيحة والجيش والأمن السوري؟
- فقط قارن مشاهد الدمار في حمص بمشاهد غزة وسترى الفرق.
- ألم يقيم من يسمون بحماة الديار باغتصاب ألوف السوريات؟
- أليس تسليح الثوار السوريين فكرة رائعة كما قال كبار المسؤولين العرب؟
- أليس النظام هو من دفع السوريين إلى البحث عن السلاح بعد أن دمر مدنهم ونكل بهم، واعتقل وذبح وشرذ مئات الألوف منهم، وحرّمهم حتى من المازوت والكهرباء، وأبسط مستلزمات الحياة؟ يصيح أحد المؤيدين لتسليح الثورة.

تم الاعتماد على إظهار المقاربة بين النظام السوري، والعدو الصهيوني مرة أخرى في معظم الأسئلة البلاغية التي تضمنتها هذه الحلقة، لتظهر هذه الفكرة الخلاقة من جديد، والتي ستتخلل السياق العام لجميع الحلقات، وذلك بهدف خلق أسئلة في ذهن المتلقي حول حقيقة هذا النظام، وممارساته الوحشية والهمجية التي تصغر أمامها ممارسات الاحتلال، وبوجود هذه الفكرة يصبح المشاهد أكثر استعداداً لتقبل فكرة التسليح بأي طريقة؛ لمواجهة هذا الاحتلال، والدفاع عن الحرائر، وبذلك تتم زحزحة الجمهور عن الفكرة المبدئية الراسخة لديه وهي رفض عسكرة (الثورة)، ولكن دون أن مهاجمتها أو الحط من شأنها بشكل مباشر، لتتم دعوتهم فيما بعد لتبني موقف معاكس لها تماماً يصف هذه الفكرة بالرائعة، استناداً إلى (حقائق) مثل وحشية وهمجية هذا النظام التي فاقت بكثير وحشية الاحتلال، وأن النظام هو من دفع السوريين إلى البحث عن السلاح، أو استناداً إلى (الظروف) التي ربطها بحق الدفاع عن النفس، والتوفر على أبسط مستلزمات العيش والبقاء.

يعمل مقدم البرنامج مرة أخرى على بناء محاجة هشة للدفاع عن فكرة عسكرة (الثورة) في الجزء الثاني (لكن في المقابل) من مقدمة هذه الحلقة (تسليح الثوار السوريين)؛ ليعمل هو بنفسه على تحطيمه فيما بعد، ويظهر ذلك بوضوح عند تحليل الأسئلة البلاغية التالية:

- أليس من شأن عسكرة الثورة دفع سوريا إلى حرب أهلية مهلكة؟

- ألم تتحول سوريا إلى غابة فيما لو انتشر السلاح على نطاق واسع؟
- ألم يعمل النظام السوري نفسه على عسكرة الانتفاضة منذ البداية؛ كي يبرر سحقها؟
- ألا يتغاضى النظام عن وصول السلاح إلى المعارضين؛ كي يقول للعالم إنه يواجه إرهاباً مسلحاً؟

- هل انتصر الثوار الليبيون على كتائب القذافي بأسلحتهم، أم بطائرات الناتو؟
- متى يعلم السوريون أن تسليح الثورة ليس في مصلحتها؟
- أليس هناك معارضة دولية لإيصال السلاح إلى الثوار السوريين؟
- ألم يكن من حق النظام اللجوء إلى القوة لمواجهة فلول الإرهاب؟
- ألا يتدفق السلاح على الثوار من الخارج منذ بداية الثورة؟

في هذا المقطع من المقدمة كان يجدر بالقاسم أن يناقش الآثار السلبية لعسكرة الثورة على سوريا والشعب السوري، ولكنه بدلاً من ذلك يتجه إلى تصنيع حقائق معينة، تتيح له فرصة إقحام مقدمات نظرية جديدة، على أمل أن يستخدمها المشاهد في إدانة النظام، وتحميله كامل المسؤولية عن أي تبعات لحمل السلاح في حال حصولها. لاحظ السؤالين: ألم يعمل النظام السوري نفسه على عسكرة الانتفاضة منذ البداية، كي يبرر سحقها؟ ألا يتغاضى النظام عن وصول السلاح إلى المعارضين؛ كي يقول للعالم: إنه يواجه إرهاباً مسلحاً؟ فهذان السؤالان يقدمان فكرة واحدة، وهي: إن النظام هو من يقوم بتسليح الانتفاضة، ليبرر سحقها فيما بعد، وهذه فرضية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من معتقدات تجعلهم يؤمنون بفرضية وجود جهات كثيرة تدعم التسليح في سوريا؛ لتأجيج الوضع الداخلي السوري إذ إن " تسليح الثورة يهدف إلى إطالة أمد الأزمة السورية؛ لأن عناصر الجيش الحر مهما بلغت من قوة فلن تكون قادرة على مواجهة الجيش النظامي السوري". (عطوان، 2012، قناة الحوار) وهذا من شأنه العمل على تدمير سوريا من الداخل وتفتيتها؛ لإبعادها عن تأدية دورها في المنطقة، وإشغالها بمشاكلها الخاصة، تماماً كما حدث بالأمس القريب في العراق التي حُيّدت تماماً عن المشهد العربي.

بعد أن تم التأكيد على التدخل الخارجي والعسكرة، لا بد من التأكيد على استحالة الإصلاح، وهذه هي الفكرة التي حاول القاسم العمل على متابعة تشكيلها بشكل واضح ومقصود عندما خصص حلقة

كاملة لبحث مفهوم الإصلاح حملت عنوان (هل يريد النظام السوري الإصلاح فعلاً؟) بتاريخ 2012/5/15 وجاءت الأسئلة البلاغية في الجزء الأول من مقدمتها كما يلي:

- أليس من حق الشعب السوري أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عندما يسمع كلمة إصلاح التي يتشدق بها النظام؟
- ألا يعني الإصلاح بالنسبة للسوريين تدمير مدن وقرى بأكملها، وتشريد مئات الألوف من أهلها؟
- ماذا شهد أهل حمص وإدلب وحماة ودرعا ودير الزور وحلب ودوما وحريستا والميدان من الإصلاح مثلا سوى عشرات الألوف من الشهداء، ومئات الألوف من المعتقلين والمهجريين؟
- أليس الإصلاح المزعوم استخفافا صارخا بعقول السوريين؟
- هل يصلح مجلس الشعب بتطعيمه بالشبيحة والمرترقة، وعتاة المجرمين الذين شاركوا في قتل الشعب السوري؟
- ألم تختار القيادة السورية أسماء أعضاء مجلس الدمى قبل إجراء الانتخابات بأيام؟
- هل خرج البعث من السلطة فعلا أم إنهم غيروا اسم قائمة الجبهة الوطنية التقدمية المزعومة فقط بقائمة الوحدة الوطنية؟ فعلا هزلت! يصيح معارض سوري، ألم تكن القوانين الجديدة كقانون الأحزاب والإعلام والانتخابات مهزلة المهازل؟
- هل شاهدتم معارضا واحدا على الإعلام السوري؟
- هل نحن بحاجة إلى أحزاب صورية مصنوعة في فروع المخابرات؟
- ألم يقضي الدستور الجديد على أحلام السوريين عندما اختزل سوريا بشخص الرئيس الإمبراطور، ووضع كل السلطات في يده؟

في الغالبية العظمى لهذه الأسئلة يتم تزويد المشاهدين بمجموعة من (الحقائق) المصنعة، وغير المصنعة، والتي من شأنها أن تظهر فكرة رفض الحل السياسي المبني على الإصلاح للأزمة السورية، ردّ فعل على ممارسات النظام، وليس فعلا بحد ذاته. وبذلك تهمش فكرة الحل السياسي دون الحاجة لمهاجمتها. ففي السؤال (أليس الإصلاح المزعوم استخفافا صارخا بعقول السوريين؟) هناك محاولة لاستخلاص الإجابة الضمنية (بلى)، ولكن لم يكن من الممكن أن يثار مثل هذا

التساؤل دون تقديم عددٍ من (الحقائق) بشأن الإصلاح المزعوم تجعله يعني بالنسبة للسوريين تدمير مدن وقرى بأكملها، وتشريد مئات الألوف من أهلها، وتقديم عشرات الألوف من الشهداء، ومئات الألوف من المعتقلين والمهجّرين. كما شملت هذه الحقائق كل حيثيات عملية الإصلاح؛ كتطعيم مجلس الشعب بـ (الشيخة والمرترقة وعتاة المجرمين)، واختيارهم المسبق من قبل القيادة، واستمرارية إمساك حزب البعث بالسلطة، وتقديم دستور جديد يضع كل السلطات، والقوانين بيد الرئيس (الإمبراطور). بمعنى أن هذه (الحقائق) مكنت القاسم من تفكيك الرواية السياسية حول حل الأزمة السورية سياسياً، بما يتيح له إقحام مقدمات نظرية جديدة في نسيج هذه الرواية، على أمل أن يستخدمها المشاهد في اتخاذ موقف رافض للحل السياسي للأزمة. لاحظ أن العمل يتم مرة أخرى على استخدام المصطلحات الخلاقة لإعطاء معاني محددة ومقصودة للأسئلة البلاغية، فالشيخة والمرترقة، وعتاة المجرمين كلها مصطلحات شاع استخدامها في فترة (الربيع العربي) وتحمل معاني سلبية وبشعة.

انتقدت الأسئلة البلاغية الإعلام كونه لا يقدم إلا وجهة نظر واحدة، بدليل أنه لم يظهر معارض واحد على شاشاته. ولكننا نتساءل هنا عن تعريف محدد للمعارضة السورية المزعومة، والتي لم تستطع حتى الآن أن تقدم برنامجاً يتوافق عليه السوريون، أو توحد صفوفها وتتخلى عن أجنداتها لمصلحة الشعب السوري، هذه المعارضة المتشردمة والمتشظية، التي كُرست لها العديد من الشاشات لم تستطع حتى أن تضفي على نفسها الشرعية، ناهيك عن أن تضيف للحراك السوري شيئاً سوى مناداتها بالتدخل الخارجي. وهذا ما أكدته الدكتورة عطية في مقالها الذي عنوانته بـ (سوريا، عراق ام لبنان ام سوريا?) والمنشور في صحيفة العرب اليوم بتاريخ (15 أيار، 2012) "وقد لا نستغرب وجود غوغاء ومنفعين التفوا على المعارضين الحقيقيين الذين كانوا يناضلون لأجل هذه الإصلاحات، ولا نستغرب أن هؤلاء غابوا عن الشاشات ليحل محلهم هؤلاء الذين لم نسمع بهم يوماً، لا معارضين ولا حتى سياسيين والذين يخرجون علينا من الشاشات كما من القمقم السحري لا ليقولوا شيئاً الا المطالبة بالتدخل الخارجي لاحتلال بلادهم بينما يتسكعون هم على أرصفة الغرب". كما أن هؤلاء المعارضين ينادون بعسكرة الانتفاضة أيضاً كما جاء في صحيفة " لوس انجلوس تايمز " الأمريكية بتاريخ (18 مارس، 2012) " أعلن المجلس الوطني السوري -

الذي يضم العديد من كيانات المعارضة- الأسبوع الماضي أنه سيساعد في تسليح الجيش السوري الحر بمساعدة حكومات أجنبية رفض الإفصاح عنها".

بواسطة هذا التقاطع بين مشاعر الجماهير ومواقفهم، خلقت الأسئلة البلاغية وجهة نظر مختلفة عن التسليح والتدخل الخارجي، وجهة نظر تم ربطها بأهواء الجمهور، وفصلها عن مصالح الشعب السياسية واهتماماته ، وإقصاء أمثلة حية لمشاهد ما تزال فصولها تجري على الأرض لبلدان لجأ أبنائها للتسلح، أو دخلها المستعمر تحت غطاء التدخل الخارجي لإنقاذ الشعوب، كما هو الحال في العراق وليبيا وقبل ذلك المثال الصارخ في أفغانستان. علاوة على ذلك فإن الجو العام للأحداث ساعد على الترويج لهذه الفكرة، واعتبارها فكرة رائعة دعا إليها كبار المسؤولين العرب، كما ظهر في السؤال البلاغي الأخير في الجزء من مقدمة حلقة تسليح الثوار، وهو:

– أليس تسليح الثوار السوريين فكرة رائعة كما قال كبار المسؤولين العرب؟

وهذه الفكرة (الرائعة) " نادت بها المملكة العربية السعودية وقطر بعد (الفيديو) الذي استخدمته كل من روسيا والصين ضد مسودة قرار في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بشأن سوريا. فقد "أكد وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل دعم بلاده لتسليح المعارضة السورية. وأوضح في المؤتمر الصحفي المشترك مع الوزيرة الأمريكية أنه لو كانت المعارضة قادرة على الدفاع عن نفسها لكان بشار الأسد قد انتهى منذ زمن . وأضاف إن تسليح المعارضة واجب لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا بالأسلحة للأسف" . (BBC العربية، 2012/1/4)

وكذلك تصريحات وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم آل ثاني يوم الاثنين 2012/2/27 بهذا الشأن خلال زيارة إلى النرويج، والتي جاءت كما يلي: " إن المجتمع الدولي عليه تسليح المعارضة السورية، ويجب أن تأخذ الدول العربية زمام المبادرة لتوفير ملاذ آمن للمعارضين داخل سوريا". (المركز العربي للدراسات المستقبلية، 6 / 2012/3).

كما يبدو هذا التوجه واضحاً أيضاً من تصريحات وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم آل ثاني يوم الاثنين 2012/2/27 بهذا الشأن خلال زيارة إلى النرويج، والتي جاءت كما يلي:

"أعتقد أن علينا عمل ما يلزم لمساعدتهم (المعارضة) بما في ذلك تسليحهم للدفاع عن أنفسهم ". وأضاف: " إن الدول العربية عليها المشاركة في جهد عسكري دولي لوقف اراقاة الدماء في سوريا بعد 11 شهرا من الانتفاضة الشعبية ضد حكم الرئيس بشار الأسد، والتي قتل فيها الآلاف. واستطرد: "حيث إننا فشلنا في عمل شيء في مجلس الأمن أعتقد أن علينا محاولة عمل شيء ما لارسال مساعدة عسكرية كافية لوقف القتل". (المركز العربي للدراسات المستقبلية، 6/3/2012).

أما الفكرة الأخرى التي تجلت في عددٍ من الحلقات، وبغض النظر عن الموضوع الذي تناقشه الحلقة، فكانت الفكرة التي تدعو لإسقاط النظام برمته، وتفكيك الجيش العربي السوري باعتباره جيش النظام، وليس جيشاً وطنياً، وهذا ما سيتم إلقاء الضوء عليه فيما يلي من خلال المحور الثاني.

المحور الثاني: النظام والجيش وجهان لعملة واحدة وتفكيكهما فكرة وطنية وأخلاقية

كما تم تبرير (عسكرة الانتفاضة والدعوة للتدخل الخارجي) ضمن منظومة من القيم والأخلاق التي يؤمن بها المشاهد العربي، ودعمهما بحجة استحالة الإصلاح كوسيلة لتغيير النظام، سيتم العمل أيضاً على خلق مبررات أخلاقية لإسقاط النظام باعتباره نظاماً مهترئاً وفاقد الصلاحية، وتفكيك الجيش باعتباره جيشاً للنظام، وليس جيشاً وطنياً، وهذا ما سيبدو جلياً من خلال تحليلنا للأسئلة البلاغية التي شكلت مقدمات حلقات عدة.*

السياق العام لخطاب البرنامج في جميع هذه الحلقات يؤطر لمحااجة ثابتة لها مدلول رئيسي يهدف إلى البحث عن أسباب توجب إدانة النظام وعزله، وأسباب أخرى تنزع صفة الوطنية والعروبة عن الجيش السوري، ولا تهدف إلى فهم حيثيات (الأزمة) السورية وأبعادها. إذ ارتكز القاسم لتحقيق ذلك إلى ذات الفكرة الخلاقة God Idea التي ارتكز إليها في الدعوة للتدخل الخارجي والعسكرة، والمتمثلة بمقاربة النظام السوري بالعدو الصهيوني. وقام بمحاولات حثيثة لتصنيع حقائق جديدة لخلق مقاربة بين الجيش السوري، وجيش الاحتلال، لتصبح هذه المقاربة فيما بعد فكرة خلاقة أخرى تولد مجموعة من الأسئلة في أذهان المشاهدين بشأن وجود مثل هذا الجيش الذي فقد بوصلته، ووجهه بنادقه تجاه أبناء وطنه. وجود مثل هذه الفكرة في أذهان المشاهدين تفقد فكرة المحافظة على الجيش الكثير من وزنها، وبالتالي يصبح المشاهد أكثر استعداداً لتقبل فكرة تفكيك الجيش، ومحاربتة والتخلص منه بأي ثمن. شاعت هذه الفكرة في معظم حلقات هذا المحور، وتجلت بوضوح في المعاني الكامنة في الوسوم السياسية Political Labels كمقاربة هذا الجيش بالجيوش النازية والفاشية، وجيوش المغول والنتار. إن الاستخدام الدارج لهذه الوسوم يهدف إلى الإساءة السياسية للخصوم السياسيين، واتهامهم بالدكتاتورية ومعاداة الديمقراطية. (فاشية، ويكبيديا، 26 نوفمبر، 2012)

*خرافة الجماعات المسلحة في سوريا، 2011/9/13. هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم، 2011/9/20. المجلس الوطني السوري، 2011/10/11. مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري، 2012/2/7. الجيش السوري جيش وطني أم جيش احتلال؟، 2012/2/14. هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟، 28/2/2012. عام على الثورة السورية، 2012/3/13. تسليح الثوار السوريين، 2012/3/20. هل تتعرض سوريا لمؤامرة كونية؟، 2012/9/11.

كما تجلت هذه الفكرة في استخدام المصطلحات الخلاقة God Terms التي اقترنت بعدد كبير من الأسئلة البلاغية كمصطلح الشبيحة، الذي يحمل دلالات خاصة راجت في فترة (الربيع العربي) لوصف المجرمين والخارجين عن القانون الذين نكلوا بالناس، وعاثوا في الأرض فساداً تحت مسميات اختلفت من دولة لأخرى من دول (الربيع العربي)، ولكنها في مجملها تعطي ذات المعاني الكامنة، والمدلولات من قتل وسرقة وهناك للأعراض.

لم يفصل القاسم بين الجيش والنظام، بل وحد بينهما غالباً، وصورهما وجهين لعملة واحدة، مرتكزاً حيناً على الفكرة الخلاقة التي تقارب النظام بالعدو الصهيوني، وحيناً آخر على الفكرة الخلاقة التي تقارب الجيش السوري بجيوش الاحتلال، وهاتان الفكرتان الخلاقتان ومثيلتهما يمكن استقراؤهما في جل الأسئلة البلاغية التي أثارها وكررها بصيغ مختلفة في حلقات عدة. خذ مثلاً الأسئلة البلاغية في الحلقة التي حملت عنوان "مصير النظام السوري"، والتي جاءت كما يلي:

- كيف يقبل الشعب السوري بنظام تلطخت يدها بدماء السوريين من درعا حتى إدلب بعد ارتكابه مجازر فاشية بحق الإنسانية؟
- ألم تصبح سوريا على كف عفريت بعد أن دمر جيشها، وقتل من الشعب أكثر مما قتلت إسرائيل بعشرات المرات؟
- أليس حرياً بالشعب السوري ألا يعود إلى بيوته حتى يتخلص من نظام الطغيان تماماً، وإلا سينتقم منه النظام لاحقاً انتقاماً نازياً؟

تم تخصيص حلقة كاملة لنزع صفة الوطنية عن الجيش العربي السوري، ووسمه بجيش احتلال، وبشكل واضح ومباشر، وحملت هذه الحلقة عنوان (الجيش السوري جيش وطني أم جيش احتلال؟)، وقد ظهرت الأسئلة البلاغية في مقدمتها كما يلي:

- لماذا وصل الأمر بالسوريين إلى تغيير النشيد الوطني الذي يتغنى بالجيش السوري من حماة الديار عليكم سلام، إلى غزاة الديار أفسدتم السلام، علينا الضياء وعليكم الظلام، فتبا لكم ولهكذا نظام، رفعتم الهراوة وقطعتم الأوصال، ولم تسلم النساء منكم، ولا الأطفال، قذفتهم المساجد، ونشرتهم الدمار، فقمنا ننادي الموت ولا العار؟
- ألم يصبح الجيش السوري في نظر معظم السوريين أسوأ من جيوش الاحتلال الغاشم؟

- أليست أطول وأكبر معركة خاضها الجيش السوري بتاريخه ضد الشعب السوري الأعزل؟
- ألم يقتل من الإسرائيليين على مدى 40 عاما 600 إسرائيلي فقط بينما قتل عشرات الألوف من السوريين؟
- ألا يجب أن نغني خبطة قدمكم على الأرض هدارة احتفالا بالنصر على الصهاينة لا على أطفال ونساء حمص وحماة وإدلب ودوما ومضايا وحريستا والزبداني؟

عنون مقدم البرنامج هذه الحلقة بسؤال إيحائي Leading Question ليؤطر من خلاله الحلقة منذ بدايتها، ويأخذها إلى المنحى الذي يريده هو، فهو يضع المشاهد أمام خيارين منذ البداية عندما يسأل: (هل الجيش السوري جيش وطني أم جيش احتلال؟). تم اختيار (النشيد الوطني الرسمي للجمهورية العربية السورية)⁽¹⁾ للشاعر خليل مردم بك، والذي تم تبنيه منذ العام 1938 م⁽²⁾ حتى اليوم، والذي يتغنى بالجيش السوري، ليهاجم من خلاله ذات الجيش، عن طريق إجراء تغيير على كلمات أبيات هذا النشيد، فعناصره ليسوا حماة الديار بل (غزاة الديار)، هذا الوسم السياسي الذي تم استخدامه، يهدف إلى فصل عناصر الجيش السوري عن المجتمع السوري، فالغزاة عادة لا يكونون من أصحاب الأرض، بل هم مجموعة من الغرباء الذين جاءوا بغير وجه حق، ليعيثوا في الأرض فساداً، وهذا ما أكدته الأسئلة البلاغية عندما وصفتهم بأنهم أفسدوا السلام، ونشروا الظلام وقطعوا الأوصال، وامتد أذاهم ليشمل النساء والأطفال، والمساجد والكنائس أيضاً.

(1) يعرف النشيد أيضاً باسم نشيد حماة الديار نسبة إلى الكلمتين اللتين يبدأ بهما. توقف استخدام النشيد كنشيد رسمي خلال فترة الوحدة مع مصر، وتمت الاستعاضة عنه بنشيد آخر هو مزيج من النشيد الوطني المصري آنذاك (نشيد الحرية) والنشيد الوطني السوري (حماة الديار)، وكان هذا المزيج هو النشيد الوطني الرسمي للجمهورية العربية المتحدة، وبعد الانفصال في 1961 م تم الرجوع إلى نشيد حماة الديار كنشيد وطني رسمي للجمهورية العربية السورية. وأما الموسيقى فهي من تأليف محمد فليفل، وتم تبنيها بعد إطلاق المسابقة التي أجريت لاختيار النشيد الوطني لسوريا عام 1938 م، وقد رُفض لحنه في البداية، لكن النشيد كان قد انتشر في أنحاء البلاد، فرأت الحكومة أن تتبناه، وكافأت فليفل بمنحه وسام الاستحقاق السوري. (مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية، المملكة المتحدة، لندن)

(2) ديوان خليل مردم بك، ص 319.

هذه (الحقائق) المصنعة والواقعية والوسم السياسي (غزاة الديار)، تشكل في مجموعها فرضية نظرية بديلة، من شأنها في حال استخدامها من قبل الجمهور أن تترزحه بعيداً عن أي موقف مبدئي. أي إنها بالمحصلة تدفع الجمهور بطريقة غير مباشرة نحو موقف يرتكز على (حقيقة جديدة) أو (ظرف طارئ) مثل (استخدام القوة، تقطيع الأوصال، إيذاء النساء والأطفال، قذف المساجد، نشر الدمار). وهذا يتيح إقحام مقدمة نظرية بديلة تجعل من فكرة تفكيك الجيش فكرة مقبولة.

بالإضافة لذلك فإن القاسم هنا يعمل على تشبيك نفسه وتوحيدها مع مشاعر الجمهور العربي الرافض لأي شكل من أشكال المساس بالنساء على اعتبار أنه مساس بالعرض والشرف، أو المساس بالطفولة على اعتبار أن هذا السلوك الذي لا ينسجم أبداً مع المشاعر الإنسانية، أو قيم الرجولة والنخوة العربية، ثم يشبك نفسه مع جمهور المشاهدين بشكل أكبر عن طريق استفزاز الجانب الديني لديهم، والرافض للمساس بالرموز الدينية، وما تمثله مثل هدم المساجد أو الكنائس، الأمر الذي يجلب الشعور بالعار بدلاً من الفخر الذي يفترض أن يشعر به شعب عروبي كالشعب السوري تجاه جيشه.

وهكذا فإن استبدال الكلمات الشعرية قد تم بمهارة وعناية تجلت في محاولة العمل على خلق حجة مضادة للجيش السوري معتمدة على مبدأ مأخوذ من الثقافة العربية والديانات السماوية؛ (عدم القتل، عدم إيذاء النساء والأطفال، عدم هدم بيوت العبادة وتخريبها)، ودون استخدام إطار أيديولوجي صارم، ومحدد أو محاججة مبنية على مبدأ جديد يرفضه المشاهدون، وإقحامه بشكل مباشر في عقولهم. يتم العمل بشكل غير مباشر على خلق الإطار الجديد الذي سيؤطر شكل العلاقة بين الجيش والشعب، لمحاولة دفع المشاهدين للتساؤل عن الجدوى من وجود هذا الجيش الذي أصبح يمثل أكبر أعداء الشعب السوري الأعزل، فلم لا تتم مواجهته ومقاومته كأبي جيش غازٍ ومحتل؟ ولا ضير من تدميره من قبل أي كان، إذ لا لزوم لوجوده بعد أن ابتعد عن دوره الرئيسي في حماية الديار والعباد.

حملت هذه الحلقة التي ما زلنا بصدد تحليلها عنوان (الجيش السوري جيش وطني أم جيش احتلال؟)؛ لذلك يتوقع المشاهد من المضيف أن يضع الحلقة ضمن هذا الإطار مظهراً قطبين

للحوار أو وجهتي نظر، فكل ما تم تحليله حتى الآن يندرج تحت الأسئلة التي تمثل وجهة النظر التي ترى أن (الجيش السوري جيش احتلال)، وما سيتم طرحه الآن في النصف الثاني من المقدمة يفترض به أن يمثل وجهة النظر الأخرى، والتي تفترض أن (الجيش السوري جيش وطني) وهذا ما لم يظهر، بل ظهرت الفكرة الضمنية التي تهدف هذه الحلقة لإظهارها، وهي إن الجيش السوري هو عدو للشعب، ويشكل خطراً عليه، وإن إنقاذ هذا الشعب يكمن في تفكيك هذا الجيش، والتخلص منه، وهذا ما أكدته الأسئلة التي يفترض بها أن تمثل وجهة النظر المقابلة، والتي جاءت كما يلي:

- ألا يبقى الجيش السوري الباسل حامي الديار شاء من شاء، وأبى من أبى؟
- ألم يسطر عبر تاريخه ملاحم في البطولة، وحب الوطن؟
- ألا يعود إليه الفضل على مدى الشهور الماضية بحماية سوريا من الانهيار والتفكك؟
- هل كان الجيش السوري ليهاجم بعض المناطق لولا أنها تحولت إلى أوكار للتمرد والإرهاب؟
- هل استهدف الجيش يوماً إلا العابثين باستقرار البلاد، أليس من حقه التصدي لكل من يعبث بأمن الوطن وسلامته؟
- ألم يخسر المئات من جنوده وخيرة ضباطه في مواجهة عصابات الغدر على مدى الفترة الماضية؟
- ألا يتردد كثيراً قبل مواجهة الأحياء المسلحة حفاظاً على أرواح المدنيين؟

في هذا الجزء من المقدمة، والذي ينبغي أن يكون لصالح الجيش السوري، يعمل القاسم على تقديم محاجة ضد الجيش السوري. لاحظ السؤال: ألا يبقى الجيش السوري الباسل حامي الديار شاء من شاء وأبى من أبى؟ أو السؤال: ألم يخسر المئات من جنوده وخيرة ضباطه في مواجهة عصابات الغدر على مدى الفترة الماضية؟ أو السؤال: ألا يتردد كثيراً قبل مواجهة الأحياء المسلحة حفاظاً على أرواح المدنيين؟ هذه الأسئلة تركز إلى (حقائق ووقائع وظروف) مصنعة أو واقعية، تمكن القاسم من حلحلة نسيج الرواية السياسية حول الجيش السوري الباسل، بما يتيح له إقحام مقدمات نظرية جديدة في هذا النسيج، بهدف استخدامها من قبل المتلقي لتأييد فكرة تفكيك الجيش، والتخلص منه. فالسؤال الأول مثلاً يظهر انقساماً في رأي المشاهدين حول ماهية هذا الجيش، فبعضهم يرى أنه لا يزال حامي الديار بينما يرفض بعضهم الآخر هذه الفكرة تماماً، وهكذا

تصبح النظرة للجيش محكومة بواقع العمليات التي يقوم بها حالياً، وتبتعد عن الفكرة المبدئية التي ترفض أي انقسام بشأن الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه الجيش، وتتكرر ذات المحاولة في السؤال الثاني، إذ يتم العمل على التقليل من قيمة الجيش عن طريق التركيز على الخسائر التي تكبدها هذا الجيش، والتي تقدر بالمئات من جنوده وخيرة ضباطه في فترة قصيرة أمام عصابات لا تمتلك مثل قدراته التسليحية أو التنظيمية. وبالتالي ينتزع القاسم من المشاهدين تساؤلاً عن قدرة هذا الجيش والجدوى من وجوده في مواجهة جيش منظم ومسلح كالجيش الإسرائيلي. أما السؤال الثالث فيقدم حجة قوية، ومباشرة ضد الجيش السوري، وهي: إنه يخوض مواجهات مسلحة على الأحياء المدنية التي يقطنها المدنيون، فرغم أنه يتردد كثيراً قبل أن يقوم بهذه المواجهات، إلا أنه يقوم بها على كل حال، حتى لو كانت نتيجة هذه المواجهات هي حصد أرواح هؤلاء المدنيين.

لا يتوقف القاسم عند ذلك بل يتابع بناء دفاعه الهش عن الجيش السوري عندما يشير إلى أحداث أصبحت تاريخية بالنسبة للجيش العربي السوري الحالي، كحرب تشرين التي كانت آخر الحروب التي خاضها الجيش السوري مباشرة مع جيش العدو الإسرائيلي، طامساً بذلك حقيقة الدعم السوري المستمر حتى يومنا هذا للمقاومة التي يمثلها كل من حزب الله وحماس، ليبرز في المقابل فكرة معينة تتمثل في أن الجيش يهاجم بعض المناطق المدنية بحجة وجود متمردين وإرهابيين فيها. إن استخدام المصطلح الخلاق (الإرهاب) يحمل معاني كامنة بالنسبة للجمهور العربي الذي وسم مقاتليه ومناضليه بالإرهابيين من قبل الغرب الذي برر عدوانه على الأمة العربية في كل مرة بحجة محاربة الإرهاب؛ مما يجعل من العمل المسلح الذي يقوم به الجيش السوري عملاً مشابهاً لأعمال هذه الجيوش الغازية ضد أفراد عزل تمردوا عليها، وقوبلوا بألة عسكرية منظمة.

إن استخدام هذه الأسئلة البلاغية يزعزع فكرة ومبدأ راسخاً، وغير قابل للنقاش وهو مبدأ التكتاف بين الشعب والجيش، باعتبار أن الجيش هو أساساً مكون من أبناء الشعب وموجود أصلاً لحمايته، لذلك فإن فكرة أن يحارب الشعب جيشه الخاص ويعدّه جيشاً عدواً، أو يقبل أن تقوم أي جهة بالحرب عليه، هي فكرة مرفوضة تماماً، ولا تحظى بتأييد شعبي في الظروف العادية، ولكن هذه الحقيقة التي لا جدال فيها تقع الآن تحت ظروف قاهرة، وهي (انحراف الجيش السوري عن مساره، وتحوله إلى جيش أسوأ من جيوش الاحتلال)، وهو إطار جديد يتخذ بعداً لا يتفق أبداً مع الإطار الذي ينبغي أن يرى فيه المشاهد جيش بلاده. وبناءً عليه فإن الأسئلة البلاغية التي يتم

الارتكاز عليها لتقديم حجج ضد الجيش السوري توحد المضيف بداية مع مشاعر الغضب لدى الشعوب العربية وبالذات الشعب السوري، واحتقارهم لقيادات الجيش. ثم تتقاطع هذه المشاعر مع مجموعة أخرى من عواطف المشاهدين - قلقهم ومخاوفهم، وهذا أكثر ملاءمة لاتخاذ موقف عملي من الجيش بدلاً من الموقف المبدئي الراسخ. وبواسطة هذا التقاطع بين مشاعر الجماهير ومواقفهم، خلقت الأسئلة البلاغية وجهة نظر مختلفة ومحاججة معتمدة على طريقة جديدة للتفكير تم ربطها بحاجات الجماهير الأساسية والملحة؛ الحاجة للأمن والسلام وحماية النساء، والأطفال والمساجد. علاوة على ذلك فإن الجو العام الذي تميزت به المقدمة، والذي انتقل من تقديم الحجج بشكل مباشر ضد الجيش إلى تقديمها بشكل غير مباشر ضد الجيش أيضاً، يشير إلى أن القاسم والذي يتوقع منه تقديم اتجاهين متعاكسين، طمس - في الواقع - وبمهارة الحجج المساندة للجيش تماماً، وترك المشاهدين مع حجة واحدة، وهي: إن (الجيش السوري ليس جيشاً وطنياً والوقوف ضده مطلب قومي)، وهو ما يشير إلى جهد محسوب للتأثير في موقف حساس للجمهور تجاه الجيش السوري. كما يظهر أنه يحيد وجهة نظر المشاهدين المبنية على المبدأ دون الإساءة إليها، لأنها في ذات الوقت توحد المشاهدين مع وجهة النظر القطرية حول مواجهة الجيش السوري، وهذا الموقف يظهر واضحاً في تصريحات وزير الخارجية القطري: "إن النظام السوري ينهي مدينة مدينة وقريبة قرية، بينما ما زال الحديث مستمرا عن التسليح، وشدد على أنه وفق كل الشرائع الدينية والدولية من حق كل طرف أن يدافع عن نفسه". (الجزيرة. نت 2012/3/12).

والتصريح الآخر لوزير الخارجية: " إن الدول العربية عليها المشاركة في جهد عسكري دولي لوقف اراقة الدماء في سوريا بعد 11 شهرا من الانتفاضة الشعبية ضد حكم الرئيس بشار الأسد والتي قتل فيها الآلاف". (المركز العربي للدراسات المستقبلية، 6 مارس، 2012).

وضع القاسم الجيش والنظام السوري في بوتقة واحدة معظم الوقت لدرجة أصبح من الصعب التفريق بينهما، ولم يكن شيوع الأسئلة البلاغية المتشابهة، والتي تدور حول فكرتين خالقتين متشابهتين وليد الصدفة، بل هو جهد مقصود ومتعمد من قبل مقدم البرنامج يسعى من خلاله؛ لتقديم أسباب لإدانة النظام السوري، ونزع الشرعية عنه؛ ليسهل فيما بعد المناداة بإسقاطه. فالنظام كالجيش تماماً: فاشي، نازي، بربري، تترى، صهيوني، وأسوأ من الاستعمار الفرنسي. ظهرت هذه الفكرة الخلاقة في حلقات كثيرة، كحلقة (2012/2/7) من خلال السؤال البلاغي التالي:

– لماذا تساند روسيا والصين النظام السوري الذي أصبحت سمعته عربياً وإسلامياً ودولياً كسمعة النازي هتلر؟

وفي حلقة (2012/3/13) من خلال السؤالين البلاغيين التاليين:

– ألم تحقق الثورة السورية نصراً مؤزراً في عامها الأول رغم مواجهتها أكثر الأنظمة همجية، وفاشية في العالم؟

– ألم يصبح النظام السوري في نظر العالم النسخة الحديثة للمغول والتتار والبرابرة والنازيين؟

مما يستحق الانتباه أن القاسم استند إلى قاعدة (استحالة الإصلاح في سوريا)؛ ليعتمد عليها في محاجته ضد صلاحية النظام السوري للحكم، وفقده للشرعية، ويظهر هذا السبب جلياً عند تحليل الأسئلة البلاغية في الحلقة التي تحمل عنوان (هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم؟) (2011/9/20)، والحلقة التي تحمل عنوان (المجلس الوطني ومدى شرعيته) (2011/10/11).

تدور الأسئلة البلاغية في الجزء الأول من مقدمة حلقة (2011/9/20) حول الفكرة الخلاقة التي تقارب النظام بالعدو الصهيوني، وتجعل منه رمزاً لشتى أشكال الإرهاب والإجرام والهمجية، عن طريق استخدام ذات الوسوم السياسية، والمصطلحات الخلاقة كـ (الفاشية، والاحتلال الفرنسي) لتأكيد هذه الفكرة الخلاقة. ولكنه بالإضافة لذلك استخدم وسوماً أخرى لدعم فكرة عدم صلاحية النظام للحكم، فالوسم السياسي (النظام السوري) مثلاً يوحي أصلاً بعدم شرعية النظام، إذ يطلق هذا الوسم على الحكومات التي لا تعترف بها أمريكا مثل (النظام الإيراني)، بينما تطلق تسمية حكومة على الحكومات التي تعترف أمريكا بشرعيتها كـ (الحكومة السعودية) مثلاً. أما مصطلح (الشعب السوري) فقد تعمد القاسم استخدامه في جميع أسئلة هذا الجزء من المقدمة ليعطي انطباعاً بأن التساؤلات المطروحة تعبر عن الشعب السوري بأكمله، بينما تجنب استخدام هذا المصطلح تماماً في الجزء الثاني من المقدمة كما سيظهر عند تحليل ذلك الجزء، وبالمحصلة تعمل الأسئلة البلاغية على تقديم النظام كنموذج في القتل أفضع من النموذج الذي قدمه الاستعمار الفرنسي كونه قاتلاً، همجياً، فاشياً شبيحاً، ونظام بهذه الصفات لا يمكن تقديمه للشعب على أنه نظام يمكن حتى أن يفكر بالإصلاح، وبناءً عليه، لا بد من إسقاطه بكل رموزه. وهذا ما يظهر جلياً في الأسئلة البلاغية كما يلي:

- ألا يخجل النظام السوري من مجرد التفكير بالبقاء في الحكم بعد ارتكابه جرائم ضد الإنسانية بحق الشعب السوري الأعزل... يتساءل ضيفنا؟
- ألم تصبح أجهزة الأمن السورية والجيش والشبيحة رمزاً لأبشع أنواع الهمجية والفاشية بعد أن اعتدت حتى على المساجد، وقصفت المآذن... يضيف آخر؟
- لماذا يصير النظام على حكم السوريين، أو إبادتهم؟
- كيف يأتمن الشعب السوري على نفسه من نظامٍ استخدم ضده كل أنواع الأسلحة الثقيلة بما فيها الطائرات، لإرعاب المتظاهرين ولم تسلم من بطشه حتى البغال والحمير؟
- ألم يكن المستعمر الفرنسي أرحم بالسوريين... يصيح أحد شيوخ الشام؟
- لماذا يريد النظام الذي فقد هيئته تماماً حكم شعبٍ حطم معظم تماثيله، ورموزه، ومزق صورته في معظم المدن السورية؟
- ألم يصرخ ملايين السوريين ارحل، والشعب يريد إسقاط النظام منذ شهور؟
- ألا تجمع الأسرة الدولية على أن النظام السوري وصل إلى نقطة اللاعودة؟

في الأسئلة الثلاثة الأخيرة من هذا الجزء من المقدمة يحاول مقدم البرنامج دعم فكرة عدم صلاحية النظام عن طريق تقديم أساس نظري جديد يدعو المتلقين من خلاله إلى فرضية تختزل النظام بشخص الرئيس بشار، بمعنى أن هذه الحقيقة المصنعة من قبل القاسم مكنته من حلحلة الرواية السياسية حول ماهية النظام، بما يتيح له إقحام مقدمات نظرية جديدة تساعده في دفع المتلقي لتقبل فكرة إسقاط هذا النظام بأي ثمن. فتحطيم التماثيل وتمزيق الصور، والملايين الذين جابوا الشوارع للمطالبة برحيل بشار واسقاطه، ما هي إلا مقدمة نظرية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من تصور مبدئي للنظام، تجعلهم يؤيدون تجسيد النظام كله بشخص الرئيس السوري. أما استخدام الشعارات التي ظهرت في فترة (الربيع العربي)، (إرحل والشعب يريد إسقاط النظام) فيسعى القاسم من خلالها للتوحد والتشبيك مع مشاعر المشاهدين الذين تلقفوا هذه الشعارات بعطش، وشوق للحرية والديمقراطية. كما أن استخدام كلمة (تجمع) في السؤال الأخير يحمل دلالة كبيرة تشير إلى أن الأسرة الدولية جميعها نزعت الشرعية عن هذا النظام، وبالتالي فهذا سبب آخر يضاف لأسباب عدم شرعيته.

يعيد المضيف إنتاج ذات الفكرة في القسم الثاني من مقدمة هذه الحلقة (لكن في المقابل) عن طريق خلق محاجة ضعيفة؛ ليسهل عليه اختراقها، وتحطيمها فيما بعد، ويبدو ذلك من خلال تحليل هذه الأسئلة، والتي وضعت كما يلي:

- لماذا لا نقول إن النظام ومعه الجيش الوطني والأمن حافظوا على وحدة سوريا واستقرارها، وهم أفضل من يؤتمن على حكمها؟
- ألا تؤكد القيادة السورية أن الشعب سيثكرها لاحقاً على إحباط المؤامرة، وإخراج البلاد من أزمتها وإيصالها إلى بر الأمان؟
- ألا تتعرض سوريا لحرب كونية؟
- ثم من قال إن كل الشعب السوري يريد إسقاط النظام؟
- أما زالت دمشق وحلب اللتان تشكلان نصف سوريا صامتين؟
- أليس السكوت علامة الرضا عادةً؟
- أما زال النظام السوري يحظى بتأييد نصف الأسرة الدولية ممثلاً بروسيا والصين وجنوب إفريقيا والبرازيل والهند؟
- ألم يوشك النظام على تجاوز أزمته بعد أن سيطر على معظم بؤر التوتر؟
- ألم يستعد زمام المبادرة داخلياً ودولياً؟
- ألم ينتقل من الدفاع إلى الهجوم؟

من الجدير بالملاحظة محاولات مقدم البرنامج الحثيثة لتصنيع حقائق جديدة تخلق في ذهن المتلقي تصوراً معيناً لطبيعة (المؤامرة الكونية) يجسدها كـ(أكذوبة) يستخدمها النظام ذريعة لاستمرار القتل والتنكيل بالشعب، وهذا التصور يصبح فكرة خلاقة تولد مجموعة من الأسئلة في ذهن المتلقي عن ماهية هذه المؤامرة، وبوجود هذا التصور يصبح المتلقي أكثر استعداداً لرفض فكرة المؤامرة من أساسها، وبذلك يتم العمل على طمس حقيقة المؤامرة الكونية التي قادها الغرب ضد العراق وصدقها العالم، أو ادعى تصديقها أمام الجبروت الأمريكي، مؤامرة استهدفت أرض العراق وماءه وسماءه وتاريخه الضارب في الجذور. تكررت محاولات القاسم لتكوين هذه الفكرة الخلاقة في عدد كبير من الحلقات. أحد الأسئلة البلاغية التي تناولت ذلك جاءت في حلقة (خرافة الجماعات المسلحة في سوريا) كما يلي:

– أليست الجماعات المسلحة خرافةً كبرى فبركها الإعلام السوري؛ لتبرير سحق الثورة السورية السلمية؟

كما خصص القاسم حلقة كاملة لتأكيد هذه الفكرة الخلاقة حملت عنوان (هل تتعرض سوريا لمؤامرة كونية؟) جاء في مقدمتها عدد من الأسئلة البلاغية عرضها القاسم كما يلي:

- متى يتوقف النظام السوري عن وصف الثورة السورية العظيمة بالمؤامرة الكونية؟
- ألا يخجل من تصوير ثورة شعب يطالب بأبسط حقوقه المسلوبة بالمؤامرة؟
- أليس هناك ألف سبب وسبب ليثور السوريون؟
- ألم يصبح حديث الإعلام السوري عن المؤامرة الكونية مثار سخرية وتهكم لدى السوريين، والعالم على حد سواء؟
- ألم يأت وصف الثورة بالمؤامرة لتسهيل الإجهاز عليها وسحقها؟
- أليست المؤامرة الحقيقية على سوريا الشعب والوطن؟
- هل كان النظام ليدمر وطننا وشعبنا بهذه الأريحية لولا أن لديه ضوءاً أخضر عالمياً؟
- حتى لو كان هناك مؤامرة على سوريا هل يتم التصدي لها بالوقوع في شركها بتدمير المدن والقرى فوق رؤوس ساكنيها، وتهجير ملايين السوريين من ديارهم على أيدي من يسمون بحماة الدمار؟
- أليس المتآمر الأكبر على سوريا هو النظام؟

بالعودة إلى بقية الأسئلة البلاغية في حلقة (هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم؟) نلاحظ أن الفعل اللغوي وهكذا أسئلة يتمثل بمقدرة القاسم على استخدام تعبيرات توحى بعدم إجماع السوريين على مواقف معينة، بينما ركز على أن الشعب السوري كله مجمع عليها في الجزء الأول من المقدمة، ففي السؤال (ثم من قال إن كل الشعب السوري يريد إسقاط النظام؟) يرمي إلى أن هناك جزءاً – وهو لم يحدد حجمه أو نسبته – يريد إسقاط النظام، مع أن المحاجة في هذا الجزء يجب أن تدعم بقاء النظام، كما أنه يظهر أن هناك جزءاً كبيراً من الأسرة الدولية مع إسقاط النظام، وهو يشكل نصف هذه الأسرة كما يبدو جلياً من هذا السؤال: (أما زال النظام السوري يحظى بتأييد نصف الأسرة الدولية ممثلاً بروسيا والصين وجنوب إفريقيا والبرازيل والهند؟) مع ملاحظة أنه

أكد استخدام فعل (تُجمع) في الجزء الأول من المقدمة عندما تحدث عن حتمية إسقاط النظام. مما سبق يتضح أن القاسم لا يقدم وجهتي نظر، بل يقدم وجهة نظر واحدة يدافع عنها في شقي الحوار، ووجهة النظر التي يقدمها في هذه الحلقة تتلخص بأن هذا النظام إرهابي، ولا يريد الإصلاح، وبالتالي فهو فاقد للشرعية ويجب اسقاطه.

خصص القاسم حلقة حملت عنوان (المجلس الوطني ومدى شرعيته)؛ لإضفاء الشرعية على أي شكل من أشكال المعارضة حتى لو كان المجلس الوطني السوري الذي تخلى عنه فيما بعد حتى الذين عملوا على تأسيسه. فقد قالت كلينتون في تصريح صحافي في زغرب: "اقترحنا أسماء ومنظمات نعتقد أنه يجب دمجها في الجهة القيادية، وأشرنا بوضوح إلى أن المجلس الوطني السوري لم يعد زعيماً واضحاً للمعارضة، لكنه قد يصبح جزءاً من تشكيلة أوسع للمعارضة، يجب أن تضم شخصيات من داخل سوريا إضافة إلى أولئك الذين لهم حق أن تُسمع أصواتهم". (جريدة الرأي، 2 نوفمبر، 2012) كما قالت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون إنه حان الوقت لتجاوز المجلس الوطني السوري وضم "من يقفون في خطوط المواجهة يقاتلون ويموتون اليوم" إلى صفوف المعارضة. وانتقدت كلينتون المعارضة قائلة: "لا يمكن أن تكون هذه معارضة يمثلها أشخاص يتمتعون بخصال جيدة كثيرة لكنهم في كثير من الأمثلة لم يذهبوا إلى سوريا منذ 20 أو 30 أو 40 عاماً، يجب أن يكون هناك تمثيل لمن يقفون في خطوط المواجهة يقاتلون، ويموتون اليوم في سبيل حريتهم". (BBC العربية، 1 نوفمبر، 2012)

يؤطر القاسم للحلقة منذ البداية*، ويدفع المشاهدين لقبول فكرة تمثيل المجلس الوطني للشعب السوري على الرغم من أنه بدأ هذه الحلقة بطريقة مغايرة ومختلفة عن الحلقات الأخرى، فهو يبدأ أسئلة هذه المقدمة بالنصف الذي يهاجم من خلاله المجلس الوطني كما يلي:

*يبدأ القاسم حواراً مع ضيفه بالسؤال الذي يوجهه للجمهور وهو عادة يعيد فيه صياغة عنوان الحلقة، والسؤال في هذه الحلقة كان هل المجلس الوطني السوري يمثل الشعب؟ كانت نتيجة التصويت المزعوم هي أن نسبة 91% من المشاهدين صوتوا بنعم، المجلس يمثل الشعب، ونسبة 9% منهم صوتوا بلا، المجلس لا يمثل الشعب، علماً بأن هذه الحلقة قدمت بتاريخ (2011/10/11) بعد تشكل هذا المجلس بفترة بسيطة، إذ أن المجلس تشكل في اسطنبول بتاريخ (2011/8/23) (Yezdani, Ipek 23 August 2011).

- من الذي فوض ما يسمى بالمجلس الوطني لتمثيل الشعب السوري في الداخل والخارج؟
- أليس مرفوضاً حتى من ألد معارضي النظام السوري؟
- ألم يصفه أحدهم بأنه مسخٌ ومهزلةٌ وممولٌ من نادي واشنطن؟
- ألا يمقت الشعب السوري مثل تلك المجالس المشبوهة، هل نحن بحاجة لكرزايات وجلبيات جدد؟
- أليس المجلس أضعف بكثير من أن يهز أركان النظام السوري الثابت عسكرياً وسياسياً وشعبياً؟
- أليس من الأفضل لمناضلي الساعة 25 أن يتخلوا عن نضال الفنادق ويحاججوا النظام على الأرض السورية ضمن حوار وطنية شامل بدل استدراج قوى الاستكبار العالمي لغزو بلدهم، وإعادته إلى القرون الوسطى؟

في الغالبية الساحقة لهذه الأسئلة يزود القاسم المشاهدين بمجموعة (حقائق) واقعية أو مصنعة من شأنها العمل على إبراز هذا المجلس بصورة سلبية، تجرده من أي قيمة اعتبارية، لما تمثله هذه المجالس من تجسيد للقوة الاستعمارية، ولما تحمله من أجنات مرفوضة بنظر المشاهدين. وهو يعمل بذات الوقت على التوحد مع مشاعر المشاهدين الرافضين لمثل هذه المجالس حتى من قبل ألد معارضي النظام السوري.

لم يكن تحقير المجلس الوطني من باب الصدفة أو غير مقصود، وهذا ما يمكن استنتاجه فوراً من السؤال الأول في الجزء الثاني من المقدمة، والذي يفترض أن يخصص لبحث شرعية النظام، ولكن بدلاً من ذلك، تم العمل على تحطيم هذه الشرعية فوراً عن طريق تقديم (حقيقة) جديدة تتمثل بجبن هذا النظام الذي ترتعد أوصاله حتى من تشكيل جبهة معارضة على غرار هذا المجلس، لإقحامها كمقدمة نظرية جديدة تدفع المشاهد للتساؤل عن مدى شرعية هكذا نظام. كما يبدو في السؤالين البلاغيين الأول والثاني من الأسئلة البلاغية التالية التي تمثل جزء (لكن في المقابل):

- ألا ترتعد أوصال النظام السوري من تشكيل المجلس الوطني؟
- أليست تهديدات وزير الخارجية السوري لمن يعترف بالمجلس اعترافاً به؟

- لماذا حرامٌ على المجلس الوطني التنسيق مع القوة الغربية إذا كان النظام السوري قد باع البلاد لإيران وروسيا ؟
- كيف للنظام السوري أن يشكك بشرعية المجلس الوطني إذا كان النظام نفسه لا يحظى بأية شرعيةٍ إلا إذا اعتبر استفتاءات لـ 99 المفبركة نتائجها في أقبية المخابرات شرعية؟
- ألن يعتبر صدام والقذافي معارضيه من قبل ثلثة من العملاء والمرترقة فإذ بهم الآن يحكمون العراق وليبيا؟
- ألا يشكل الترحيب الأميركي والأوروبي وبداية الاعتراف العربي بالمجلس الوطني السوري نذير شؤمٍ كبير للنظام السوري؟
- أليس الدخان على وشك التطاير من الغليون؟

أما السؤال: لماذا حرامٌ على المجلس الوطني التنسيق مع القوة الغربية إذا كان النظام السوري قد باع البلاد لإيران وروسيا ؟ فقد ناقشته الباحثة في المحور الأول من هذا الفصل، وبينت أن القاسم قدم فكرة بيع سوريا لإيران وروسيا، كمقدمة نظرية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرفضون فكرة التدخل الخارجي من أساسها، ومثل فعل البيع هذا يفقد النظام شرعيته، ويخلق في ذهن المشاهد ثغرات مفاهيمية يملؤها القاسم فيما بعد بمحاجته الجاهزة التي يحلل من خلالها لأعضاء المجلس عملية التنسيق مع القوة الغربية، والمناداة بالتدخل الخارجي. تجدر الإشارة هنا لهذه الحيثية بالتحديد، فكيف لمعارضة وطنية أن تطالب بالتدخل الخارجي؟ ولماذا تختلف المعارضة (الوطنية) السورية في فهمها لأبعاد التدخل الخارجي عن المعارضة اليمنية مثلاً والتي استمرت بالتظاهر لمدة ثلاثة أشهر ضد التدخل الأمريكي والسعودي في اليمن، وقادت ثورة شعبية "أبهرت العالم بسلميتها، رغم القمع الدموي الذي مارسه صالح وعائلته الممسكة بمفاصل الجيش وأذرعته وأسلحته، من حرس جمهوري وفرق مؤللة إلى سلاح جو والمرافق العامة، ورغم أيضاً ما يتوافر عليه (كل) اليمنيين من أسلحة متفاوتة الاستخدام، من فردية إلى ميليشاوية، إلا أنهم اختاروا الميادين ودافعوا عن قناعاتهم بلحمهم الحي، وبحناجرهم وإرادتهم الصلبة." (خروب، جريدة الراي، 2012) وعن المعارضة المصرية الوطنية التي يمثلها ميدان التحرير عندما رفض متظاهرو الميدان حتى مصافحة هيلاري كلينتون!

في السؤال: كيف للنظام السوري أن يشكك بشرعية المجلس الوطني إذا كان النظام نفسه لا يحظى بأية شرعيةٍ إلا إذا اعتبر استفتاءات الـ 99 المفبركة نتائجها في أقيية المخابرات شرعية؟ يقدم القاسم (استفتاءات الـ 99 المفبركة نتائجها في أقيية المخابرات شرعية) كـ(حقيقة) تدعو المشاهدين لإعادة فهم فكرة (الشرعية). فالشرعية في هذه الحالة منزوعة عن النظام أصلاً. هذه (الحقيقة) تجعل من حصول المجلس الوطني المتوقع على الشرعية ردة فعل على ممارسات النظام القمعية وغير الديمقراطية، وليس فعلاً من قبل الأطراف التي تؤيد وتقبل فكرة إعطاء الشرعية لهكذا مجلس. بالمحصلة فإن هذا السؤال سيدفع المشاهد بلطف نحو فهم فكرة حصول هذا المجلس على الشرعية كباطل ضروري بمواجهة باطل واقع، وهذا الموقف البراغماتي منسجم تماماً مع الموقف القطري والخليجي، ومواقف الدول المؤيدة لهذا التوجه بشكل عام.

إن نظرة عامة على الحلقتين السابقتين تؤكد وتدعم فكرة أن القاسم يبحث عن أسباب لإدانة النظام. وهو يقوم بذلك بطرائق شتى، حتى عن طريق طرح بدائل غير مقبولة، ولا تحظى باحترام معظم السوريين، ولا تلبى طموحاتهم كتقديم معارضة لا تمثل الشعب السوري، ولا تسعى لتحقيق حلمه المشروع بالديمقراطية والحرية والحياة الكريمة.

في كلا الفرعين من مقدمات كل الحلقات السابقة تفضي أسئلة القاسم البلاغية إلى الموضوع الخطابي ذاته، فهو يقدم الوقائع والحقائق، والظروف والعواقب بدلاً من المبادئ في الحكم على الموقف الذي يتخذه المشاهدون تجاه الجيش أو النظام، وبالتالي فإن أسئلة القاسم تحمل قواسم مشتركة في نصفي هذه المقدمات، فهي تعمل على إزاحة المشاهدين من المواقف المستندة إلى المحاججات المبنية على مبادئ راسخة، إلى مواقف مستندة إلى محاججات من نوع جديد من التفكير البراغماتي، الذي يستبعد المبدأ دون الإساءة إليه، ثم الحكم على الأمور بناءً على الظروف أو الوقائع. وهذه المواقف تكون عادة منسجمة مع وجهة نظر قطر كما جسدتها تصريحات وزير خارجيتها تجاه المجلس الوطني السوري، فقد دعا وزير الخارجية حمد بن جاسم إلى "الاعتراف بالمجلس الوطني السوري ممثلاً شرعياً للشعب السوري"، وأكد أن "زمن السكوت على ما يحدث في سوريا قد انتهى، ولا بد من تنفيذ قرارات الجامعة". (الجزيرة.نت 2012/3/12)

كما دعا وزير الدولة القطري للشؤون الخارجية خالد بن محمد العطية إلى "أن يكون للمجلس الوطني دور مهم وفاعل لبلورة موقف موحد للمعارضة من أجل حصول الشعب السوري على حقوقه المشروعة"، ورحب العطية في اجتماع مع عدد من المشاركين في مؤتمر المجلس الوطني السوري بقرار المجلس المشاركة في الاجتماع التشاوري الذي سيجتمع اليوم بفصائل معارضة أخرى في مسعى لتوحيد المعارضة السورية، وأضاف: "ينبغي أن يكون للمجلس موقف فاعل وموحد". وجدد المسؤول القطري "دعم قطر للثورة السورية"، مشيداً بـ"التضحيات التي بذلها الشعب السوري". (الجزيرة، أخبار، 8 نوفمبر، 2012).

إن مهاجمة القاسم للجيش السوري تكررت بشكل واضح، وصريح في أكثر من عشرين حلقة من الحلقات الست والعشرين التي تعمل الباحثة على تحليلها، واعتمد فيها القاسم على ذات الموضوعات البلاغية التي تنزع صفة الوطنية عن الجيش السوري. إن الشيوع الكبير لهذه الفكرة يعدّ بحد ذاته دليلاً قاطعاً على محاولات القاسم المستمرة للنيل من الجيش العربي السوري والدعوة المريبة لتفكيكه.

اكتفت الباحثة بتحليل هذا العدد من الأسئلة ذات العلاقة بتفكيك الجيش؛ لأنها لاحظت التشابه الكبير بين ما حللته، وبين مضامين باقي الأسئلة في باقي الحلقات، فأثرت عدم تحليلها منعاً للتكرار، ولكنها ستذكر في الهامش عناوين الحلقات وتواريخ بثها للاطلاع عليها.* أما المحور الثالث فيبحث في محاولة القاسم النيل من القومية العربية وكل ما يمثلها، باعتبارها طرحاً حالماً وبعيداً عن الواقع وغير قابل للتطبيق. واستبعاد فكرة المقاومة بحجة استحالة اللجوء إليها في ظل الواقع العربي الحالي.

*مصدر النظام السوري، بتاريخ 2012/1/31. الانقسام العربي حيال الأزمة السورية، بتاريخ 2012/3/27. من يصدق الإعلام السوري، بتاريخ 2012/4/10. لماذا يتأمر النظام العراقي على الشعب السوري؟، بتاريخ 2012/4/17. هل يريد النظام السوري الإصلاح فعلاً؟، بتاريخ 2012/5/15. من يقف وراء التفجيرات في سوريا؟، بتاريخ 2012/5/29. من المرتزقة في سوريا: الثوار أم الشبيحة؟، بثت بتاريخ 2012/6/12. هل أصبحت روسيا شريكا في ذبح الشعب السوري؟، بتاريخ 2012/6/26. هل بدأت القبائل السورية تتحرك ضد النظام؟، بتاريخ 2012/7/17. من اغتال كبار القادة العسكريين والأمنيين بسوريا؟ بتاريخ 2012/7/24. هل يسعى النظام السوري لتقسيم سوريا؟، بتاريخ 2012/8/7. هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟ بتاريخ 2012/9/25.

المحور الثالث: عبثية الفكر القومي، والمقاومة

يحاول القاسم العمل على دفع المشاهد العربي للفظ فكرتي القومية العربية والمقاومة، وكل ما يمثلها من أنظمة أو أشخاص، على اعتبار عبثية الفكر القومي، واستحالة المقاومة، وعلى اعتبار أن هاتين الفكرتين اتخذت منهما الأنظمة العربية الشمولية ذريعة للقمع، والاستبداد ومصادرة الحرية والديمقراطية.

ويستخدم القاسم الأسئلة البلاغية بأكثر من طريقة لدفع المشاهدين إلى الانزلاق من محاجة معينة بنيت على أساس راسخ يحترم القومية العربية، ويرى فيها وسيلة التحرير، وتوحيد الصف العربي، ويقدم فكرة المقاومة بكل أشكالها ويعدّها الطريق الأقصر، والأقوى لتحقيق غايات الأمة، واسترجاع حقوقها المسلوبة، إلى محاجة أخرى بديلة تنتقص من فكرة القومية العربية وتنادي بعبثيتها وانكفائها، وترى في المقاومة طريقة غير عملية، وغير قابلة للتنفيذ في ظل الظروف السيئة التي تعانيها المنطقة بشكل عام، مقابل المركز المتقدم الذي يحتله العدو الصهيوني الذي تدعمه أمريكا والصهيونية العالمية، مما يجعل مجرد التفكير في مقاومته مغامرة غير مدروسة ستقود حتماً لخسارة محتومة أقرب ما تكون إلى انتحار جماعي تقدم عليه الأمة بتهور.

محاولات القاسم للنيل من فكرة القومية العربية، والمقاومة لم تولد نتيجة لما يعرف بأحداث (الربيع العربي)، بل هي أقدم من ذلك بكثير، خذ مثلاً محاولته لتقديم تصور عملي يحل محل القومية العربية في الحلقة التي حملت عنوان (تقييم ثورة يوليو)، والتي بثتها القناة بتاريخ (16 يوليو، 2002)، إذ قدم فيها القاسم وجهة نظر جديدة حيّد من خلالها اعتقادات المشاهدين الراسخة حول التمسك بمبادئ القومية العربية، ودفعهم برفق نحو خيار أكثر براغماتية وواقعية يضمن تحقيق مصالحهم بدلاً من تحقيق وحدتهم. (Al-Sadi, 2011, p.137)، ومحاولته لتقديم تصور عملي يحل محل المقاومة من خلال معالجة موضوع الحرب على العراق، في الحلقة التي حملت عنوان (المقاومة العراقية)، والتي بثتها القناة بتاريخ (25 نوفمبر، 2003)، إذ ركز القاسم على " دعوة المشاهدين للحكم على المقاومة استناداً إلى نتائج إيجابية أو سلبية بدلاً من الحكم بشرعيتها، أو عدم شرعيتها كمبدأ ". (Al-Sadi, 2011, p.118)، ومحاولته الأسبق في معالجته لقضية الأمة العربية المحورية، القضية الفلسطينية، في الحلقة التي حملت عنوان (الجهاد ودوره في

مواجهة العدو الصهيوني)، والتي بثتها القناة بتاريخ (24 أكتوبر، 2000)، والتي خلصت إلى الرؤية التالية: "بينما يؤكد القاسم نبل الجهاد، يوجه بذات الوقت المشاهدين لعدم الجدوى، وعدم الفائدة منه، بل ربما التضرر بسببه". (Al-Sadi, 2011, p.99) وهو ينادي بذات الفكرة الآن مستغلاً أحداث (الربيع العربي)، وبالذات (الأزمة) السورية، إذ قدمت سوريا نفسها على الدوام بأنها قلعة الصمود الأخيرة للقومية العربية ونظام المقاومة، والممانعة للمشروع الصهيوني في الوطن العربي، وبذلك شكلت (الأزمة) السورية فرصة مناسبة للعمل على إثبات أن الفكر القومي العربي فكر عبثي ومستهلك، وفكرة المقاومة والممانعة فكرة مستحيلة في ظل الظروف الحالية، وهما أذوبتان تشبث بهما النظام السوري كمبررين للبقاء.

ستوضح الباحثة ذلك من خلال تحليل الأسئلة البلاغية في الحلقتين التاليتين:

الانقسام العربي حيال الأزمة السورية (2012/3/27).

هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟ (2012/9/25).

يقدم الدكتور فيصل القاسم هاتين الحلقتين بطريقته المعتادة التي يعتمد فيها على إثارة "الأسئلة البلاغية" في مقدمة كل منهما كوسيلة، أو أداة يحاول من خلالها تحقيق الأهداف التي يرجوها من البرنامج، كما في الأسئلة التي أثارها في مقدمة حلقة (2012/3/27)، والتي وضعها كما يلي:

- أليس حرياً بالعرب أن يوحدوا كلمتهم في القمة العربية المقبلة لإنقاذ الشعب السوري؟
- ألا يتعرض السوريون لأسوأ محرقة في العصر الحديث؟
- أليس ما فعله العرب للشعب السوري دون المستوى المطلوب؟
- أليس حرياً بهم عزل النظام تماماً على كل الصعد؟
- لماذا يشن النظام السوري حملة شعواء على العرب لمجرد أنهم نددوا بمجازره الوحشية بحق الشعب الأعزل ولم يباركوها؟
- ألم تسقط شعارات العروبة والمقاومة الممانعة التي تشدق بها النظام السوري على مدى عقود سقوطاً مريعاً؟
- ألم تثبت الأيام أن إسرائيل هي أكبر حام للنظام؟

- هل يتآمر العرب على سوريا فعلاً، أم النظام هو الذي يتآمر على العرب وعلى سوريا؟
- ألم يصبح ما يسمى بقلب العروبة النابض مجرد تابع ذليل لإيران، وألعوبة في يد الدب الروسي؟

خذ الأسئلة الثلاث الأولى، مثلاً، ولاحظ البداية التي تتسجم تماماً مع مواقف غالبية الشعوب العربية التي لا تزال تطمح لواقع وحدوي عربي، ولا تزال تبحث عن طريقة تمد بها يد العون لبعضها بعضاً، تلك الشعوب التواقّة للتغيير، والتي سئمت الواقع السياسي الذي تعيشه منذ عقود. هذه الأسئلة تهدف إلى التقرب من الجمهور، والتوحد مع آلامه، وتعانق حلمه بالحرية والخلاص من الأنظمة التي استبدت به، وصادرت حقه حتى في التعبير عن ذاته. أسئلة القاسم البلاغية تؤكد ظروفًا ووقائع يعيشها الشعب السوري، ومعظم الشعوب العربية، إذ إن هذا النوع من الأسئلة المستمدة من الواقع يؤكد المبادئ النبيلة التي ينطلق منها النقاش، والتي تتمثل بحق الشعوب بالأمن والحماية والعيش بسلام، وهذا تماماً ما يفعله القاسم الذي يشبك نفسه بداية مع الجمهور بطريقة يظهر لهم فيها انسجامه التام مع مبادئهم النبيلة الراسخة، التي لا يحاربها بشكل مباشر ولكنه يضعها ضمن ظروف ومواقف معينة، ثم يشتبك مع هذه المواقف والمبادئ في ظل هذه الظروف، فبينما يبدو أن هذه الأسئلة تحتضن مواقف المشاهدين، وإنكارهم لسياسة النظام السوري الداخلية، تعمل ذات الأسئلة على وضع فكرة في عقول المشاهدين ألا وهي أن الشعب السوري يتعرض لظروف قاهرة، وواقع حقيقي وهو أنه يذبح ويقتل بل ويحرق على الطريقة النازية، وهذا الواقع سيجلب للمشاهدين تبعات سلبية، ففي هذه المرحلة لا ترتبط أسئلة القاسم فقط بكره العرب للسياسة الداخلية للنظام السوري، ولكنها ترتبط أيضاً بمخاوف المشاهدين وهمومهم، ورؤيتهم الواقعية والمنطقية للحلول المطروحة للتغلب على الأزمة. بهذه الحدود ينتزع القاسم أسئلة من المشاهدين مثل: ما الفائدة التي يمكن جنيها من القومية العربية، إذا كان النظام القومي العربي كنظام البعث السوري يقتل الشعب؟ ثم ما هو الخيار الذي يمكن تبنيه لإنقاذ الشعب السوري؟ وهذا الخيار هو ما تم تقديمه في السؤالين التاليين:

- أليس حرياً بهم عزل النظام تماماً على كل الصعد؟
- لماذا يشن النظام السوري حملة شعواء على العرب لمجرد أنهم نددوا بمجازره الوحشية بحق الشعب الأعزل ولم يباركوها؟

يضع القاسم المشاعر العربية الوحديّة، والأحاسيس الإنسانيّة النبيلة التي تدفع غالبية المشاهدين للتعاطف مع الشعب السوري، يضعها في سياق آخر يعمل من خلاله على إعادة توجيه المبادئ لوجهة جديدة تهدف إلى محاولة زعزعة، ومهاجمة أية مشاعر إيجابية أو متعاطفة مع النظام السوري؛ بهدف إيدانة هذا النظام، والمطالبة بعزله تماماً وعلى كل الصعد. فهو نظام وحشي شن حملة شعواء على كل العرب؛ لأنهم نددوا بمجازره. إن استخدام كلمة (العرب) تضع العرب جميعهم في جانب، بينما تفصل النظام السوري عن الجسم العربي، وتضعه في الجانب الآخر بالنسبة لهذه الأزمة.

إذا نظرنا عن قرب إلى أسئلة القاسم البلاغية سنكشف عن الجهد الذي يقوم به لتقويض فكرة ربط سوريا بأي من مقومات القومية العربية، الوحدة أو التحرير، فقد عمل جاهداً على إقحام مقدمات نظرية في نسيج الرواية السياسية التي تقدم سوريا كنموذج للقومية العربية ليستخدمها فيما بعد لمحاولة إقناع المشاهد العربي؛ لتبني موقف ضد هذا النموذج القومي. خذ السؤالين التاليين على سبيل المثال: ألم تثبت الأيام أن إسرائيل هي أكبر حام للنظام؟ ألم يصبح ما يسمى بقلب العروبة النابض مجرد تابع ذليل لإيران وألعوبة في يد الدب الروسي؟ هاتان (الحقيقتان) سيستخدمهما القاسم مقدمتين نظريتين بديلتين عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرفضون فكرة فصل النظام السوري عن المنظومة العربية رفضاً قاطعاً. وبذلك فإن القاسم يهمل هذا المبدأ دون الحاجة لمهاجمته، أو الحط من شأنه. ليدعوهم لتبني موقف معاكس له تماماً ينادي بعزل النظام الذي تشدق بشعارات العروبة، والمقاومة والممانعة على مدى عقود، وعزله تماماً وعلى كل الصعد. لقد عملت أسئلة القاسم على تصوير الموقف العربي ككل وقد توحد وتمحور حول رؤية محددة للأزمة السورية، بينما يقف النظام السوري على الجانب المغاير لهذه الرؤية، ليس ذلك وحسب بل إن رؤيته تتماشى مع الرؤى الخارجية سواء أكانت إسرائيلية – أمريكية أو إيرانية روسية، وبالتالي فهذا النظام ليس معنياً لا بالوحدة العربية ولا بالتصدي للمشاريع الاستعمارية. وذلك يعمل على التشكيك بحقيقة السياسة السورية الخارجية تجاه إسرائيل بشكل خاص، تلك السياسة التي كانت سبباً رئيسياً جعل الكثيرين ينظرون إلى النظام السوري باعتباره نموذجاً لمقاومة المشروع الصهيوني، وممانعته في المنطقة. ويمكن تحقيق ذات النتيجة بربط النظام السوري بالمحور الروسي الإيراني أيضاً، وكل ذلك يؤدي لمحاولة تفريغ القومية العربية

التي تتبناها سوريا من جوهرها، واعتبارها مجرد شعارات تنتدق بها الأنظمة المهترئة؛ لتبرير تمسكها بالاستمرار بحكم الشعوب. أما إقحام الدور الإيراني فقد كان متعمداً بهدف تغذية فكرة العدو العربي الجديد المتمثل بإيران، وما يرافق هذه الفكرة من تبعات تخدم تبرير أي ضربة عسكرية قد توجه لإيران بسبب برنامجها النووي أمام العالم العربي والإسلامي، وتهدف أيضاً لتغذية النزاعات الطائفية والعمل على زرع الانشقاق في الداخل السوري؛ لتقسيم الدولة من الداخل إلى طوائف على غرار المشهد العراقي الغني عن التعريف.

كما خصص القاسم حلقة حاول من خلالها نزع مقومات القومية العربية عن سوريا، وخصص حلقة أخرى حاول من خلالها نزع صفة المقاومة عنها أيضاً كما سنتثبت الباحثة بتحليل الأسئلة البلاغية التي جاءت في مقدمة الحلقة التي حملت عنوان (هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟) بتاريخ (2012/9/25) والتي جاءت الأسئلة البلاغية في مقدمتها كما يلي:

- إلى متى يتشدق النظام السوري بأكذوبة الممانعة والمقاومة وهو لم يقاوم يوماً إلا شعبه الأعزل، مقاوم بالثرثرة، يصيح أحمد مطر، ممانع بالثرثرة، له لسان مدّعي يصل في شوارع الشام كسيف عنتره، يكاد يلتف على الجولان والقنيطرة، مقول لم يرفع السلاح لم يرسل إلى جولانه دبابة ولا طائرة، لم يطلق النار على العدو لكن حين تكلم شعبه صحا من نومه وصاح في رجاله مؤامرة مؤامرة، وأعلن الحرب على شعبي وكان رده على الكلام مجزرة، أحاكم الدولة من يطلق النار على الشعب الذي يحكمه أم إنه قرصان؟
- هل قتل الجيش السوري من الإسرائيليين سوى بضع مئات على مدى عقود بينما ذبح مئات الألوف من السوريين والفلسطينيين؟
- كم مدينة سوريا دمرت إسرائيل، وكم دمر جيش حماة الدمار؟
- هل يعقل أن يكون الاستعمار الفرنسي أرحم بالسوريين الذين لم يقتل منهم سوى بضع مئات على مدى خمسة وعشرين عاماً؟

في السؤال الأول يزود القاسم جمهور المشاهدين بمجموعة (حقائق) من شأنها العمل على فصل فكرة المقاومة، والممانعة عن النظام السوري، فالقاسم يزودهم فوراً بأسس نظرية بديلة وهي: تشدق النظام بأكذوبة الممانعة والمقاومة، مقاومته لشعبه الأعزل، مقاوم وممانع بالثرثرة، مقول، وقرصان.

ثم يعود القاسم في باقي الأسئلة لاستخدام الفكرة الخلاقة التي اعتمد عليها كثيراً في السياق العام لجميع الحلقات التي تناولت الأزمة السورية، وهي الفكرة التي تبنى فيها أسلوب المقاربة بين النظام السوري والعدو الصهيوني، لينتزع من المشاهدين تساؤلات كثيرة حول حقيقة تمثيل النظام السوري لمحور الممانعة والمقاومة للمشروع الصهيوني في الوطن العربي. إن عملية التشكيك بهذه الحيثية تمكن القاسم من تفكيك ترابط الرواية السورية حول احتضان سوريا لكل أشكال المقاومة على مدى عقود مضت، بطريقة تجعل المشاهد أكثر استعداداً لتبني إسقاط صفة المقاومة عن هذا النظام كمقدمة نظرية بديلة لما يؤمن به.

اقتترنت الأسئلة السابقة بعدة أدوات بلاغية، وظفها القاسم بغرض تحقيق هدفه الرامي لتعزيز الفكرة الخلاقة التي بنى جل محاجته على أساسها. فمصطلح (ذبح) مثلاً يحمل معاني كامنة كثيرة في عقول المشاهدين تمثل القسوة والوحشية، ومصطلح (تدمير) يمثل مستوى هائلاً من القمع الذي يمارسه النظام والجيش السوري، والذي أطلق عليه القاسم تسمية (حماة الدمار) ليعطي هذا المصطلح معاني كامنة سلبية لتحل محل المعاني والصور الإيجابية التي تتشكل في أذهان المشاهدين عند استخدام المصطلح الأصلي (حماة الديار). بالمحصلة فإن المقدمات النظرية والمصطلحات الخلاقة تعمل معاً على تقديم فرضية بديلة، والتي من شأنها، في حال استخدامها من قبل الجمهور، أن تعمل على زحزحته بعيداً عن أي موقف مبدئي، وتدفعه لتبني مواقف براغماتية تركز على محاججات معتمدة على (الظروف، الوقائع، الحقائق،.... أو التبعات) كالمجازر والذبح والتدمير.

لاحظت الباحثة التشابه الكبير بين الأسئلة البلاغية التي تمثل الجزء الثاني من مقدمتي الحلقتين السابقتين، إذ إن أسئلة الحلقة الثانية موجودة كلها ضمناً في الحلقة الأولى، لذلك ستقوم الباحثة بتحليلهما معاً. حملت الحلقة الأولى التي قامت الباحثة بتحليلها عنوان (الانقسام العربي حيال الأزمة السورية)؛ لذلك يتوقع المشاهد من المضيف أن يضع الحلقة ضمن هذا الإطار مظهراً قطبين للحوار، وهذا ما تقوم عليه فكرة البرنامج أصلاً، وهو ما يحاول القاسم إقناع الجمهور بأنه يفعل، فكل ما تم تحليله حتى الآن من تلك الحلقة يندرج تحت الأسئلة التي تمثل القطب الذي ينفي وجود مقومات القومية العربية لدى النظام السوري، وما سيتم طرحه في الجزء الثاني يفترض به أن يمثل وجهة نظر القطب الآخر، وهو المؤيد لوجود هذه المقومات لدى النظام وهذا ما لم يظهر،

بل ظهرت الفكرة الضمنية التي تهدف هذه الحلقة لإظهارها، وهي: إن النظام السوري ليس وحدويًا قومياً وليس مقاوماً، وكذلك الحال بالنسبة لحلقة (هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟) وهذا ما أكدته الأسئلة التي يفترض بها أن تمثل وجهة النظر المقابلة في كلتا الحلقتين، والتي وضعت كما يلي:

- أليس من حق النظام السوري أن يشتكي من الموقف العربي المتآمر على بلاده؟
 - ألم يفرضوا بحقه عقوبات لم يفرضوها على إسرائيل؟
 - ألم يكن حرياً بالعرب التعاون مع النظام لإخراجها من محنتها بدلاً من تأزيم الأوضاع في سوريا إعلامياً وعسكرياً وسياسياً؟
 - هل يعقل أن بعضهم يدفع بالبلاد إلى شفير حرب أهلية مهلكة؟
 - أليس من حق النظام أن يقول أنه مستهدف بسبب مواقفه القومية؟
 - ألا يدفع ثمن مقاومته وممانعته للمشاريع الصهيونية والغربية في المنطقة؟
 - ألم يكن وما زال نصير حركات المقاومة الوحيد؟
 - ألم تثبت الأيام أن النظام في سوريا كان على حق وأن المتآمرين عليه على خطأ؟
 - ألم يشرف على القضاء على أكبر مؤامرة كونية يتعرض لها بلد عربي في التاريخ الحديث؟
 - أليس من حق النظام أن يحتفل باقتراب الأزمة من نهايتها؟
 - أليس حرياً بالعرب أن يعتذروا له على أخطائهم الفادحة بحقه على مدى أكثر من عام؟
- والأسئلة التي تمثل وجهة النظر المقابلة في حلقة (هل النظام السوري مقاوم فعلاً؟) والتي جاءت كما يلي:

- ألم يكن النظام السوري أكبر الداعمين لحركات المقاومة في المنطقة؟
- ألا تستضيف سوريا على أراضيها كل الحركات الفلسطينية المقاومة؟
- هل انتصرت المقاومة اللبنانية البطلية لولا الدعم السوري العظيم؟
- أليس من الخطأ تصوير محاولة النظام صد مؤامرة كونية على سوريا بأنه تدمير منظم للبلاد؟
- أليس من حق الجيش السوري أن يتصدى للعدو الذي أصبح في الداخل؟
- أليس المستهدف في الثورة السورية المزعومة منظومة المقاومة بأكملها في المنطقة؟

– لماذا هذه المؤامرة الدولية المفضوحة على إيران و سوريا وحزب الله؟

– أليست محاولة لضرب محور الممانعة، والمقاومة الصامد؟

من الجدير بالملاحظة أن القاسم يقدم في معظم الأسئلة البلاغية جوهر (الأزمة السورية على أنه أزمة نظام، وليس أزمة دولة)، كمقدمة نظرية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرفضون فكرة اتخاذ موقف غير مؤيد لسوريا أساساً. إذ يفصل لقاسم فكرة (فرض العقوبات على سوريا، أو تأزيم الأوضاع فيها إعلامياً وعسكرياً وسياسياً، أو حتى دفعها إلى شفير حرب أهلية مهلكة) عن أي مبدأ قد يجعل هذه الفكرة مرفوضة من قبل غالبية المشاهدين، الذين يزودهم القاسم بأساس نظري بديل وهو إن (النظام هو المستهدف، وهو من يدفع ثمن مقاومته وممانعته للمشاريع الصهيونية والغربية في المنطقة). وبذلك يزحزح القاسم الجمهور عن الفكرة المبدئية الراسخة لديه وهي: استحالة اتخاذ موقف غير مؤيد لسوريا، ولكن دون أن يهاجمها، أو يحط من شأنها بشكل مباشر، ليدعوهم لتبني موقف معاكس لها تماماً يبيح اتخاذ مواقف لا تساعد على حل الأزمة السورية، استناداً إلى (الظروف) التي قام بتصنيعها، وهي إن الأزمة في سوريا ما هي إلا أزمة النظام السوري بامتياز وليست أزمة سوريا الدولة. كما تظهر أسئلة القاسم عدم وجود انقسام عربي إزاء الأزمة السورية، فالانقسام هنا يظهر العرب كلهم في جانب، بينما النظام السوري، الذي هو بنظرهم أشد خصومة من إسرائيل، في الجانب الآخر. وهذا يؤدي إلى الابتعاد عن الخوض في تبعات الأزمة السورية على سوريا ذاتها، وعلى الشعب السوري، ويتجاهل الجوهر الحقيقي للأزمة، ويهمل المعاناة الحقيقية التي تمر بها سوريا ومواطنوها.

هذا التجاهل للجوهر الحقيقي للأزمة السورية، وما يرافقه من تأكيد على أن المشكلة الحقيقية يمثلها فقط النظام الذي يحارب شعبه الأعزل، ويعمل على إبادته، يؤكد الوضع الخطير والطارئ الذي يتعرض له الشعب السوري بسبب وجود هذا النظام الأمر الذي يستوجب التخلص منه، ومن كل ما يمثله، حتى لو كان كما يصف نفسه قلب العروبة النابض، وآخر قلاعها أمام المخطط الصهيوني، لأن هذا النظام لا ينتمي للجسد العربي الذي اتفق وأجمع على لفظه بعيداً. وهذه هي الظروف ذاتها التي استخدمها وزير خارجية قطر؛ لتبرير الموقف القطري الذي انسجمت معه نتيجة تحليل هاتين الحلفتين. " قال رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني: إن الدول العربية قررت رفع الملف السوري إلى مجلس الأمن بموقف موحد ما عدا دولة

واحدة - لم يسمها- تحفظت على هذا الموقف". " إن موقف الدول العربية الموحد هو عرض كل القرارات التي صدرت من الجامعة العربية بخصوص سوريا إضافة إلى المبادرة العربية الأخيرة على مجلس الأمن لكي يتبناها". (الجزيرة.نت، 2012/1/25)

كما أن الرؤية التي قدمها القاسم للمقاومة منسجمة مع الرؤية القطرية التي تمثلها كلمات وزير خارجية قطر في رده على السؤال التالي: هل الشعب القطري موافق على التعاون القطري الصهيوني؟ نعم أم لا؟ حيث قال: "أولاً.. ما فيه تعاون قطري صهيوني، فيه علاقة محدودة إسرائيلية قطرية، وليش إحنا نتكلم عن الصهيونية، ما إحنا الآن عاملين مبادرة، وإحنا من أول الناس اللي مؤيدونها في قطر، لأنه نحاول نحل مشاكلنا مع إسرائيل، ونعيش في المنطقة بسلام، لماذا إحنا الآن نكابر في هذا الموضوع؟". وفي سؤال آخر لأحمد منصور جاء كما يلي: في حوارك الأخير في "الحياة" قلت حتى إن التوسل دا مرحلة سابقة إحنا الظاهر بقينا دون التوسل" رأى فيها بعضهم دعوة إلى الانهزام لصالح إسرائيل والولايات المتحدة. رد حمد بن جاسم وزير الخارجية القطري كما يلي: وأنت تعتقد إحنا مو مهزومين؟ إحنا نكابر، إحنا مهزومين من زمان". (منصور، قناة الجزيرة، 2002/10/16)

أما المحور الرابع والأخير الذي ستناقشه الباحثة فيعدّ امتداداً للمحاور الأخرى، وغير منفصل عنها أبداً بدليل أن هذه المحاور جميعها أشارت إليه بشكل صريح وواضح. إذ يبحث هذا المحور في محاولة القاسم العمل على إقصاء الصورة الواضحة في أذهان المشاهدين عن عدو الأمة الأخطر (العدو الصهيوني)، والمدعوم بقوى الاستكبار العالمي بقيادة أمريكا، واستبدالها بصورة أخرى لعدو جديد تم تصنيعه بناءً على أسس طائفية، يتمثل بإيران وقوة دولية طالما اعتبرتها الشعوب العربية حليفة لها كروسيا والصين. شاعت فكرة إعادة تصنيع العدو في عدد كبير من الحلقات، وظهرت بقوة في كل المحاور السابقة، فمحور العسكرة والتدخل الخارجي بني أساساً على فكرة التدخل المحصورة بهذا العدو، وفكرة إسقاط النظام وتفكيك الجيش استندت بشدة إلى المشاركة الفعلية للقوات الإيرانية المدعومة روسياً في حرب النظام ضد الشعب، وكذلك هي فكرة المحور الثالث التي نفت مقومات القومية العربية عن النظام باعتباره (تابع ذليل لإيران وألعوبة في يد الدب الروسي).

المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو

ستثبت الباحثة من خلال هذا المحور أن القاسم سيعمل على محاولة إعادة تشكيل مفهوم (عدو الأمة الوجودي) وتعريفه، والمتمثل بإسرائيل ومن يدعمها من قوى الاستكبار العالمي بقيادة أمريكا، واستبداله بسلاسة وبطريقة غير مباشرة بـعدو جديد هو (إيران) التي طالما اعتبرها العرب نداً قوياً لإسرائيل، وحليفها روسيا التي تعدّ حليفة للعرب أيضاً. إن تصوير إيران بـعدو الأمة الجديد ما هو إلا مؤامرة، تهدف لتقسيم العالم العربي والإسلامي بناء على أسس طائفية. "المؤامرة الثانية هي خلق شقاق مزيف بين العرب وإيران وتصوير إيران على أنها شيطان ما يسهر الليل ويخطط لكيفية جعلكم جميعاً تعتقدون طائفتهم. تقسيم العرب هذه المرة لن يكون بابنكار ولايات زائفة، بل إن تقسيم العرب سيأتي على أسس الاختلافات الطائفية والمذهبية التي قد تصبح عميقة جداً إن جرى استخدامها كوسيلة لتحريض المسلمين بعضهم ضد بعض، وحتى تقائلهم، وجعلهم يتنافسون في التحالف مع الدول الغربية التي وضعت هذه الخطة ولا بد أن أخبركم أن الحقيقة المحزنة بدأت تظهر جلياً، وذلك أن العرب سيخضعون لـ"سايكس بيكو الثانية" كما خضع معظمهم لسايكس بيكو الأولى، وإن كانت مخاوفي صحيحة فلن يكون القرن الحادي والعشرين أفضل بالنسبة إلى العرب من القرن العشرين". (جالوي، قناة الميادين، يونيو 2012) استخدم القاسم الأسئلة البلاغية بأكثر من طريقة لدفع المشاهدين إلى الانزلاق من محاجة معينة بنيت على أساس راسخ يبدو العدو الصهيوني من خلالها بصورة المغتصب الجبان الذي استباح الأرض وقتل ونكل بالعباد، إلى محاجة أخرى بديلة تخرج هذا العدو من المعادلة التي تصنفه بأنه عدو الأمة الأول، لتضعه في مرتبة متأخرة مقارنة بأعداء الأمة الجدد، هذا إن لم تخرجه من المعادلة تماماً في معظم الأحيان على اعتبار أنه لا يشكل خطراً محدقاً بالأمة كما يفعل العدو الجديد الذي يعيث في الأرض فساداً!

استغل القاسم أحداث ما يعرف بـ (الربيع العربي) بطرائق عدة لإبراز عدو الأمة الجديد المتمثل بإيران، مستنداً بذلك إلى أسس طائفية تسهم في إنكفاء الفرقة والعداوة، والتي قد تؤدي إلى حروب أهلية في ظل ظروف كنتلك التي يعيشها عالمنا العربي حالياً، وعمل وبشكل مقصود على إبراز ذلك في تناوله للأزمة السورية، عن طريق الأسئلة البلاغية التي أعادت تشكيل محور الشر الجديد في المنطقة، وأطرت شكل العلاقة مع هذا المحور المتمثل بإيران، روسيا والصين.

يبدو ذلك من خلال تحليل الأسئلة البلاغية في حلقات عدة.*

في حلقة (هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم؟) حاول القاسم نزع الشرعية عن نظام الحكم ليصل بالمشاهد لنتيجة مفادها : إن هذا النظام غير صالح للحكم كما أثبتت الباحثة سابقاً، ولكنه في هذه الحلقة التي لا تناقش موضوع روسيا يحاول دفع المشاهدين لاعتبار روسيا ومعها الصين وجنوب إفريقيا والبرازيل والهند كدول عدوة باعتبارها داعمة ومؤيدة لعمليات القتل والذبح التي نسبها للنظام في هذه الحلقة، يبدو ذلك واضحاً من خلال السؤال البلاغي:

– أما زال النظام السوري يحظى بتأييد نصف الأسرة الدولية ممثلاً بروسيا والصين وجنوب إفريقيا والبرازيل والهند؟

أما في حلقة (المجلس الوطني ومدى شرعيته)، فإن القاسم يسعى لدفع المشاهد لرؤية إيران وروسيا على أنهما الجهتان المسيطرتان الآن على سوريا، وبالتالي فهما تسيطران على الأحداث التي تجري فيها، مما يجعل منهما الجهتين المسؤولتين عن هذه الأحداث بعد أن تمت لهما عملية بيع البلاد من قبل النظام، كما في السؤال البلاغي التالي:

– لماذا حرامٌ على المجلس الوطني التنسيق مع القوة الغربية إذا كان النظام السوري قد باع البلاد لإيران وروسيا؟

ليعيد إنتاج الفكرة ذاتها في حلقة (الانقسام العربي حيال الأزمة السورية) لتأكيد السيطرة الكاملة على سوريا من قبل هاتين الدولتين لدرجة أصبحت فيها سوريا مجرد تابع ذليل لإيران وألعبوة في يد (الدب الروسي)⁽¹⁾.

*هل ما زال النظام السوري صالحاً للحكم؟، 2011/9/20. المجلس الوطني ومدى شرعيته، 2011/10/11. لبنان والثورة السورية، 2011/11/8. مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري، 2012/2/7. هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً، 2012/2/28. الانقسام العربي حيال الأزمة السورية، 2012/3/27. هل أصبحت روسيا شريكا في ذبح الشعب السوري؟، 2012/6/26.

(1) هذا الوسم السياسي Political Label الذي استخدم بداية من قبل بريطانيا ثم استخدمته أمريكا لإعطاء روسيا صفة الوحشية، ولقد استخدمه رونالد ريغن للاعتراف بوجود التهديد الروسي. (Wikipedia, 2012)

يتضح ذلك في السؤال البلاغي التالي:

- ألم يصبح ما يسمى بقلب العروبة النابض مجرد تابع ذليل لإيران، وألعوبة في يد الدب الروسي؟

ثم يتابع القاسم إبراز الدور الإيراني السلبي في سوريا عن طريق عدد من الأسئلة البلاغية التي أثارها في حلقة (لبنان والثورة السورية) كما يلي:

- ألا يكفيننا قطعان الشبيحة وقطاع الطرق والمجرمون الذين يستعين بهم النظام السوري على الشعب الثائر؛ كي يتآمر علينا زعران لبنان أيضاً؟

- لماذا يبدو جماعة إيران في لبنان ملكيين أكثر من نظام دمشق؟

- ألم يفقد حزب الله شعبيته تماماً في عيون معظم السوريين بعد أن انحاز إلى الجلاد ضد الشعب الأعزل؟

- لماذا بلغ حسن نصر الله لسانه الثورجي تماماً عندما بدأت الثورة السورية؟

في هذه الأسئلة نتلمس فعل عدة أدوات بلاغية يوظفها القاسم؛ لتصنيع حقيقة جديدة تتمثل بأن (حزب الله انحاز إلى الجلاد ضد الشعب الأعزل)؛ فمصطلح (الزعران) مثلاً يحمل ذات الدلالات والمعاني التي تحملها مصطلحات مثل: (شبيحة، قطاع الطرق والمجرمين) من قتل وسرقة وهناك للأعراض... إلخ، ليبدوا هؤلاء متآمرين مع النظام على الشعب السوري بطريقة تفوق طريقة المتعاونين معه في دمشق، فهو يشكك في موقف المقاومة التي يمثلها حزب الله عن طريق التشكيك بعناصر الحزب الذين يعدّهم الكثيرون مجاهدين وأبطالاً، ويساوي بينهم وبين المجرمين وقطاع الطرق. أما استخدام تعبير (لسان حسن نصر الله الثورجي)، فيهدف إلى التهكم والإساءة للسيد نصر الله بشكل مباشر، لأنه يستبدل ويقصي حقيقة مثبتة ومؤكدة عن المقاومة الفعلية التي يقوم بها حزب الله بقيادة حسن نصر الله، والمتمثلة بالجهاد ضد إسرائيل بالأفعال، بحقيقة أخرى صنعها القاسم بنفسه تتمثل بأن مقاومة نصر الله وحزبه ما هي إلا مقاومة بالأقوال والثرثرة والادعاءات معاً، وتمثل هذه المصطلحات الخلاقة فرضية نظرية بديلة والتي من شأنها في حال استخدامها من قبل الجمهور، زحزته بعيداً عن أي موقف مبدئي. أي إنها بالمحصلة تدفع الجمهور بطريقة غير مباشرة نحو موقف يرتكز على (حقيقة جديدة) مثل إن (عناصر حزب الله ما هم إلا من الزعران

المقاومين فقط بالكلام)، أو (ظرف طارئ)، مثل: (انحياز حزب الله إلى الجلاذ ضد الشعب الأعرل للمشاركة في القتل والمجازر).

كما استخدم القاسم مصطلحات مثل: (سحق الثورة، قمع الثورة، خنق الثوار، ذبح الثوار، وعمليات التنصت والتشويش)، مستغلاً ما تحمله هذه المصطلحات من معانٍ كامنة كثيرة توحى بالقسوة والظلم، ليعمل من خلالها على مهاجمة روسيا وإيران بوضوح وبشكل مباشر، وجعلهما شركاء للنظام في كل جرائمه ضد شعبه. بينما استنتى عن قصد كل الأطراف الأخرى: العربية والإقليمية والدولية، وقد أثبتت الباحثة ذلك عند تحليل حلقة (هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً)، ولكن لا بأس هنا من التذكير بالأسئلة البلاغية التي تناولت هذه الحثية:

- أليست القوات والاستخبارات الروسية والإيرانية والعراقية واللبنانية تعمل جنباً إلى جنب مع القوات السورية لسحق الثورة؟
- أليس معظم الذين يتصنتون على مكالمات الثوار ويرصدونهم إيرانيين؟
- أليست أجهزة الرصد والتنصت التي تستخدمها أجهزة الأمن السورية إيرانية وروسية؟
- ألم يتهم بعضهم إيران في التشويش على الفضائيات العربية التي تغطي الثورة السورية؟
- ألا يقضي السفير الإيراني في دمشق معظم وقته في القصر الجمهوري؛ لمساعدة القيادة في قمع الثورة على طريقة قمع الباسيج للانتفاضة الإيرانية الخضراء؟
- ألا تحمي قوات حزب الله اللبنانية الحدود مع سوريا لخنق الثوار؟ ناهيك عن دعمها العسكري واللوجستي للقوات السورية على الأرض.
- أليست قطعان جيش المهدي العراق إيرانية متورطة في ذبح الثوار؟

لم يكتف القاسم بإبراز العدو الإيراني الروسي الجديد عن طريق تكرار ذات الفكرة عدة مرات في حلقات مختلفة تناول فيها الأزمة السورية، بل أفرد حلقات خاصة لهذه الغاية حللت الباحثة منها حلقة (هل أصبح التدخل الخارجي في سوريا ضرورياً؟)، وستعمل على تحليل حلقتين يحاول القاسم من خلالها تعظيم الدور الروسي السلبي في الأزمة السورية، وإقصاء جميع الأدوار الأخرى تماماً حتى الدور الأمريكي - الإسرائيلي، كما سيبدو جلياً من خلال تحليل الحلقات ذات

الصلة بهذا الموضوع. (مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري)، وحلقة (هل أصبحت روسيا شريكا في ذبح الشعب السوري؟).

في مقدمة حلقة (مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري) وضع القاسم الأسئلة البلاغية كما يلي:

- لماذا تساند روسيا والصين النظام السوري الذي أصبحت سمعته عربيا وإسلاميا ودوليا كسمعة النازي هتلر؟
- لماذا تدعما نظاما ثار عليه شعبه وحطم تماثيله وصوره وداس عليها في معظم المناطق السورية؟
- ألا تعلم روسيا أنها أصبحت عدوا مبينا في نظر معظم السوريين؟
- ألم تصبح مسؤولة عن كل قطرة دم سوريا؟
- ألم يكن استخدام الفيتو رخصة مفتوحة لبشار الأسد كي يدمر المدن السورية الثائرة؟
- ألم تكثف قطعان الشبيحة والجيش والأمن من إجرامها بحق الشعب السوري الثائر بعد الضوء الأخضر الروسي الإجرامي؟
- ألا تزود موسكو النظام الدموي بكل أنواع الأسلحة الفتاكة لقتل الشعب السوري؟
- هل يعقل أن ثلاث عشرة دولة في مجلس الأمن على خطأ وروسيا والصين على صواب؟
- كيف تطالب روسيا بعدم التدخل الدولي بالشأن السوري وهي وإيران وحزب الله وقطعان جيش المهدي تدير الصراع ضد الشعب السوري على الأرض؟

عمل القاسم على تصنيع حقيقة جديدة تفترض أن روسيا والصين تديران الأزمة السورية وتساندان النظام، وتزودانه بكل أنواع الأسلحة الفتاكة لقتل الشعب. هذه الحقيقة المصنعة من قبل القاسم تعمل مع الحقيقة التي قام بتصنيعها سابقاً حول العدو الإيراني الشيعي على تشكيل الفكرة الخلاقة الجديدة، التي ستنتزع من المشاهد أسئلة حول عدو الأمة الأخطر، وهذه الفكرة الخلاقة ستزداد قيمتها ووزنها بفعل التكرار، والإبراز المستمر، مقابل غياب أو تغييب الفكرة التي ترى في إسرائيل وحلفائها عدو الأمة الأخطر والأساسي، هذه الفكرة الخلاقة ستتيح للقاسم إحكام مقدمات نظرية جديدة قد يستخدمها المشاهد في اتخاذ موقف من فكرة عدو الأمة الجديد. ففي السؤال الأول

مثلاً يقدم القاسم (مساندة روسيا والصين للنظام السوري) مقدمة نظرية بديلة عما تؤمن به غالبية المشاهدين من مبادئ تجعلهم يرون في روسيا والصين حليقتين للدول العربية. أي أن القاسم يهمل هذا المبدأ كأساس للحكم دون الحاجة لمهاجمته، وتتكرر ذات المحاولة من قبل القاسم في السؤال الثاني، إذ يفصل فيه فكرة وقوف المحور الروسي الصيني كقوة موازنة أمام المحور الأمريكي، عن أي مبدأ قد يجعل هذه الفكرة مقبولة من قبل غالبية المشاهدين، الذين يزودهم القاسم بأساس نظري بديل، وهو (إن روسيا أصبحت عدواً مبيناً في نظر معظم السوريين، ومسؤولة عن كل قطرة دم سوريا). وبذلك يزحزح القاسم الجمهور عن الفكرة المبدئية الراسخة لديه، وهي اعتبار المحور الروسي حليفاً وصديقاً للأمة العربية، ليدعوهم لتبني موقف معاكس لها تماماً يجعل من المحور الروسي عدواً رئيسياً يحتل صدارة المشهد المليء بالقتل والإجرام، استناداً إلى (الظروف) المتمثلة بدعم النظام ومساندته، واستخدام الفيتو الذي كان بمثابة ضوء أخضر بتكثيف الإجرام بحق الشعب السوري، ناهيك عن تزويد النظام بالأسلحة الفتاكة.

كالعادة، لم تخل أسئلة القاسم من الوسوم السياسية، فربط النظام بهتلر يحمل معاني كامنة لما تمثله فكرة النازية في نظر العالم حالياً، ولما قد يجسده هتلر من قسوة وإجرام بالطريقة التي أرادتتها الصهيونية العالمية. كما أن التركيز على إبراز سلبيات الفيتو الروسي الصيني يهمل ويقصي كل التبعات والأهوال التي كان سياتررب عليها تأييد روسيا والصين للتدخل العسكري في سوريا، كما يقصي كل أطراف الصراع الأخرى، التي كان من الممكن أن تشارك في هذا التدخل لولا استخدام الفيتو.

هذه الأسئلة البلاغية تكررت وبوضوح في الحلقة الأخرى التي حملت عنوان (هل أصبحت روسيا شريكاً في ذبح الشعب السوري؟) والتي سعى القاسم من خلالها لتأطير الدور الروسي في سوريا بالقتل والذبح والقمع، واستخدم لإبراز ذلك أسلوب المبالغة كاستعمال عبارات مثل: شريكاً مفضوحاً في ذبح الشعب، عدواً لدوداً محتلاً. يظهر ذلك في الأسئلة البلاغية التي شكلت مقدمة هذه الحلقة كما يلي:

- ألم تصبح روسيا شريكاً مفضوحاً في ذبح الشعب السوري؟

- أليست من يزود النظام بكل أنواع الأسلحة الفتاكة، ومن يضغط عليه لاستخدامها ضد الثوار؟
 - أليس كل ما تراخت وحشية النظام ضغطت عليه موسكو كي يمضي في همجيته؟
 - ألا يشارك الخبراء والعسكريون الروس في قمع الثورة السورية؟
 - لماذا أصبحت مصالح روسيا الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية في سوريا أهم بمئات المرات من مصلحة الشعب السوري في التحرر من الطغيان ونيل الكرامة والحرية؟
 - كيف يقبل السوريون بأن يموتوا ذبحاً من أجل عيون الدب الروسي المتوحش؟
 - ألم يصبح القادة الروس في نظر السوريين عدوا لدوداً محتلاً لبلادهم؟
 - متى يدرك الروس أن الشعب السوري ليس أقل رجولة من الشعب الأفغاني الذي مرَّغ أنوفهم وطردهم من بلاده؟
 - أليس من حق الثوار السوريين استهداف كل المصالح الروسية وبكل الوسائل؟
- لاحظ أن أسئلة هذه الحلقة استندت إلى ذات الموضوعات البلاغية التي استندت إليها الحلقة السابقة، ليعمل القاسم على تثبيت ذات الأفكار باستخدام التكرار بحد ذاته كأداة. فهو يقدم ذات الظروف التي تستند إليها محاجته ضد روسيا مثل (كون روسيا شريكاً مفضوحاً في ذبح الشعب السوري، تزود النظام بالأسلحة الفتاكة، يشارك خبراءها في قمع الثورة، تضغط على النظام كي يمضي بهمجيته، تبنت موقفاً خاطئاً ضد التدخل العسكري في سوريا مخالفاً لموقف ثلاث عشرة دولة في مجلس الأمن).

كما يتابع القاسم تقديم الأسباب والحجج التي تدعم فرضية أن روسيا هي العدو الآن، ففي السؤال البلاغي: (لماذا أصبحت مصالح روسيا الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية في سوريا أهم بمئات المرات من مصلحة الشعب السوري في التحرر من الطغيان ونيل الكرامة والحرية؟) يستخدم القاسم مبدءاً مقبولاً يتمثل بحق (الشعب السوري بالتحرر من الطغيان ونيل الكرامة) كفرضية يستند إليها في تبرير العداء الروسي لسوريا، إذ فضلت روسيا مصالحها الاقتصادية والعسكرية والإستراتيجية على حق الشعب السوري بنيل الكرامة. ضمن هذا الإطار من التفكير يبعد القاسم عن ذهن المشاهد أن حجم التداول التجاري بين روسيا وأمريكا أهم بكثير من مصالحها مع سوريا على كل الصعد، كما أن بإمكانها أن تقيم علاقات مع دول الخليج العربي أهم بكثير من مصالحها

مع سوريا أيضاً، فاهتمامها بمصالحها الخاصة نظرياً صحيح، وخصوصاً بعد أن استردت عافيتها وعاودها حينئذ لاسترجاع وزنها الدولي، وبعدها أضعفت من يديها الكعكة الليبية كاملة، فهذه الدول في النهاية لا تحركها إلا مصالحها وهذا ما لا يمكن الإختلاف حوله، ولكن نقطة الخلاف هنا هي أن القاسم يبرز هذا الدور بالنسبة لروسيا التي لم تشترك فعلاً في الحرب على سوريا، بينما يقصيه تماماً بالنسبة لأمريكا التي اشتركت فعلاً في الحرب على العراق، فدمرته وحولته إلى دولة طائفية يصارع بعضها بعضاً، وقتلت وشردت الملايين، واستعملت ضده مختلف أنواع الأسلحة المحرمة دولياً. أمريكا التي تجاوزت من أجل مصالحها وأطماعها في بلادنا كل المعاني الإنسانية وساندت، وتساند عدو الأمة الأول (العدو الصهيوني) بثتى الطرائق والوسائل، وتسعى هي وحلفاؤها لمزيد من الخراب والتدمير بحجة نشر ديمقراطيتها المزعومة، وتحت غطاء (حقوق الإنسان). ورغم كل ذلك فهي تجد من لا يعدها عدواً بل على العكس هي صديق ويمكن اللجوء إليه لحل قضايا الأمة العالقة، فقد "دعا رئيس الوزراء وزير خارجية قطر الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني إلى تعاون إسلامي أميركي فاعل لحل القضية السورية سلمياً ولكن بشكل حاسم". (الجزيرة.نت، أخبار، 2012/5/30) هذه الدعوة للتعاون مع أمريكا جاءت على الرغم من أننا ما زلنا نعائش ونرى أمام أعيننا، كل ما تفعله أمريكا لصالح إسرائيل مقابل تهميش كل المصالح العربية، في الوقت الذي انفردت فيه بالسيطرة على العالم، فلم لا تجد أمريكا من يردعها ويقف ضد رغباتها، ولم لا ننظر للموقف الروسي من بعد عسكري وجيوسياسي على أنه أمر أعادت روسيا من خلاله التوازن على الساحة الدولية، فهذا الفيتو المزدوج مع الصين ولمرتين وضع حداً للاستهتار الأمريكي ولسياسة القطب الواحد التي استباححت من خلالها أمريكا كل الوطن العربي. إذ إن "التخطيط الإستراتيجي الأميركي في الشرق الأوسط بدأ مع انفراط عقد الاتحاد السوفياتي السابق وسقوط الاشتراكية في أوروبا الشرقية، واستغلال نتائج حرب الخليج الثانية، والرغبة في استغلال أحادية القطبية". (صلاح الدين، سليم، برنامج بلا حدود، 2004/9/29)

ولو أجرينا مقارنة بسيطة بين تصريحات المسؤولين الروس والصينيين وتصريحات نظرائهم الأمريكيين، سنرى الموقف الروسي والصيني يدعو للتهدئة ويفضل الحل السياسي على الحل العسكري. " أكد لوكاشيفنتش مجدداً على الموقف المبدئي لروسيا حول عدم وجود بديل لحل سياسي في سوريا". (أخبار العربية، 16 ديسمبر، 2012) " وقال هونج لي المتحدث باسم وزارة الخارجية

الصينية للصحفيين في إفادة صحفية يومية: "نرى دائماً أن الطريق الوحيد الصحيح يجب أن يكون هو حل سياسي للأزمة. والوضع يزداد سوءاً في الوقت الحالي لكن كلما تفاقم سوء الوضع زادت الحاجة للوحدة." (البديل، 17 ديسمبر، 2012) بينما الموقف الأمريكي يبحث دائماً عن مصالحه المشتركة مع العدو الصهيوني بغض النظر على الآثار المترتبة على الشعوب العربية. " بينت الإدارة الأمريكية لإسرائيل في أثناء زيارة هيلاري كلنتون أن لها منظومة مصالح خاصة في الشرق الأوسط، وهي تعتمد على مصر وتركيا الإسلاميتين، وقد انتخبت حكومتاهما انتخاباً ديمقراطياً. وهما مع الحكومات السنوية الأخرى - السعودية والأردن والسلطة الفلسطينية وإمارات الخليج- تريان إيران الشيعية العدو اللدود. وهما في تحالف واحد مع الولايات المتحدة على سوريا الأسد". (برنياع، يدعوت أحرنوت، 2012 /11/22)

يعيد القاسم إنتاج ذات الخطاب الذي يعرف من خلاله عدو الأمة الجديد في القسم الثاني (ولكن في المقابل) من كلتا الحلقتين التي تقوم الباحثة بتحليل أسئلتها البلاغية، ولكن الباحثة لاحظت أن القاسم يكرر ذات الأسئلة البلاغية تقريباً في الحلقتين، لاحظ أولاً الأسئلة البلاغية التي وضعها القاسم في الجزء الثاني من مقدمة حلقة (مصلحة روسيا قبل مصلحة الشعب السوري) والتي جاءت كما يلي:

- ألم تكن روسيا والصين تاريخياً صديقتين للشعب السوري؟
- ألم ينتصر السوريون في حروبهم على إسرائيل بال سلاح والعون الروسي؟
- ألم تكن سوريا تاريخياً مجالاً حيويًا روسياً ومن حق روسيا الاحتفاظ به؟
- من قال إن روسيا تدعم النظام السوري، ألم يصبح تنحي الرئيس الأسد عن الحكم بضغط روسي قاب قوسين أو أدنى؟ يضيف أحد العارفين ببواطن اللعبة.
- ألا تحمي موسكو سوريا من التفكك والانحيار؟
- ألا تعمل جاهدة على الإسراع في حل الأزمة السورية السلمية؟
- ألم يخرج ألاف السوريين إلى الشوارع؛ لشكر روسيا والصين على دورهما الإيجابي في الأزمة السورية؟

ثم لاحظ الأسئلة المشابهة في الجزء الثاني من مقدمة حلقة (هل أصبحت روسيا شريكا في ذبح الشعب السوري؟) والتي وضعها القاسم كما يلي:

- ألا تؤكد روسيا أنها تريد الحفاظ على سوريا وتجنّبها التدخل الدولي؟
- ألم تكن موسكو على الدوام صديقا للشعب السوري؟
- لماذا ينتقد بعض السوريين روسيا لمجرد أنها تحمي سوريا من العريضة الغربية؟
- ألا يحسب لروسيا أنها كبحت جماح القوى الطامعة بسوريا في مجلس الأمن؟
- أما كانت طائرات الناتو تعربد فوق دمشق لولا الفيتو الروسي؟
- أليس من الإجحاف اتهام روسيا بأنه لا يهتمها سوى مصالحها في سوريا وليذهب السوريون إلى الجحيم؟
- ثم أليست سوريا تاريخيا من نصيب النفوذ الروسي في العالم؟

يتوقع المشاهد من المضيف أن يكمل الحلقتين ضمن الإطار المفترض للبرنامج، أي إظهار قطبين للحوار، أو وجهتي نظر، فكل ما تم تحليله حتى الآن يندرج تحت وجهة النظر التي تقدم روسيا على أنها عدو الأمة وعدو سوريا اللدود، وما يقوم القاسم بطرحه الآن في النصف الثاني من المقدمتين يفترض به أن يمثل وجهة النظر المقابلة والتي من المفترض أن تظهر روسيا بصفة حليف وصديق للعرب ول سوريا، وهذا ما لن يظهر، بل ستظهر الفكرة الضمنية التي تهدف هاتان الحلقتان لإظهارها، وهي: إن روسيا هي عدو الشعب السوري الأول، وتشكل خطراً عليه وإن إنقاذ هذا الشعب يكمن في كفّ يد هذا العدو عنها، وبأي طريقة لوضع حدٍ للنظام القمعي ووهب سوريا حريتها وديمقراطيتها.

في الحلقتين اللتين تعمل الباحثة على تحليل أسئلتها البلاغية، توصلت إلى نتيجة مفادها أن القاسم في هذا الجزء من المقدمتين يبني دفاعاً هشاً عن وجهة النظر المقابلة، والتي من المفترض أن تظهر روسيا بصفة حليف لسوريا وليس عدواً لدوداً لها، ليقوم هو بنفسه بتحطيمه فيما بعد. فهو يبدأ ببناء دفاعه عن روسيا بالتذكير (بأنها والصين كانتا تاريخياً وعلى الدوام صديقتين للشعب السوري)، وأنهما تحميان سوريا من التفكك والانهييار عن طريق التمسك بالحل السياسي للأزمة، وتجنّبها التدخل الدولي، وكبح جماح القوى الطامعة فيها، وكف طائرات الناتو عنها).

لكنه يعمل فيما بعد على إرجاع كل ذلك إلى رغبة روسيا بالسيطرة على سوريا التي كانت تاريخياً مجالاً حيويًا لها ومن حقها الاحتفاظ به، فهي تاريخياً من نصيب نفوذها في العالم لذلك لا تريد التخلي عنها لأمريكا، وبالتالي هي ليست صديقة للشعب السوري، ولا يهملها تجنيبها التفكك والتدخل الخارجي، وإنما تسعى لتحقيق أطماعها الاستعمارية وأهدافها الخاصة في سوريا، الأمر الذي سيدفع المشاهدين لاعتبارها عدواً للشعب السوري، وشكلاً من أشكال الاحتلال الذي لا بد من مقاومته.

في كلا الفرعين من مقدمتي هاتين الحلقة تفضي أسئلة القاسم البلاغية إلى الموضوع الخطابي ذاته، فهو يبرز محاججات تدعو إلى التحول في التفكير العربي ضد روسيا لإظهارها بمظهر عدو سوريا بل عدو الأمة الوحيد بدلاً من حليف وصديق، فهذا العدو الجديد هو حليف لإيران الشيعية التي قدمها على أنها عدو أيضاً على أساس طائفي بشع، "عبر المبالغة بأهمية الاختلافات ما بين المسلم السني والشيعي، وهي موجودة من دون شك قديمة وتاريخية لا شك في ذلك وهي جدية أحياناً، لا شك في ذلك، اختلافات لاهوتية وثقافية لكنها ليست بحجم الاختلافات بين العرب ككل (واسرائيل) مثلاً، أو العرب ككل والقوى الامبريالية التي تسرق ثروات العرب سواء كانوا سنة أو شيعة. هذه الاختلافات الموجودة يجري تضخيمها بشكل متعمد من قبل أشخاص لا يدركون الفرق بين السني والشيعي ويناضلون بحثاً عن تعريفات لتلك الاختلافات في القواميس. (غالوي، قناة الميادين، يونيو 2012) يقصي القاسم كل أعداء الأمة الآخرين الذين حاربوها واغتصبوا أراضيها ونهبوا خيراتها وما زالوا يفعلون، مقابل إظهار العدو الجديد المتمثل بإيران وروسيا. وهو يفعل ذلك مستغلاً الظروف التي تمر بها الأمة العربية بشكل عام والشعب السوري بشكل خاص، بدلاً من اعتماد المبادئ في الحكم على الموقف الذي يتخذه المشاهدين تجاه التمسك بالفكرة التي تتنادي بإسرائيل كعدو الأمة الوجودي الأول، وترى أمريكا على اعتبار أنها القوة العظمى التي تساند إسرائيل وتحميها وتعمل جنباً إلى جنب معها للتعدي على حقوق الأمة وبكل الطرائق. وهكذا فإن أسئلة القاسم تحمل قواسم مشتركة في نصفي المقدمتين، فهي تستند إلى ذات المحاججات والمستويات من التفكير التي تقدم للمشاهدين عادة عن إقصاء إسرائيل وأمريكا من دائرة أعداء الأمة الأشد خطراً على وجودها، حكم يستبعد المبدأ على الأقل افتراضياً باعتباره أرضية مناسبة للحكم على مدى صحة استبدال أمريكا بروسيا وإيران بإسرائيل كأعداء للعالم العربي. وهذا يوحد

المشاهدين مع وجهة النظر القطرية حول اعتبار روسيا وإيران أعداء وحيدين للأمة العربية عموماً وللشعب السوري خصوصاً. وهذا الموقف يظهر واضحاً في تصريحات وزير الخارجية القطري المنقولة عن وكالة الأنباء الإيطالية (آكي)، عند إعرابه بعد اجتماع مع رئيس الوزراء الإيطالي ماريو مونتي في روما، عن تشاؤمه بشأن مهمة أنان، مشيراً إلى أن الدوحة " أيدت في الماضي التدخل العسكري لإنقاذ دماء الشعب السوري، وهي الفرضية التي تضاءلت نتيجة لموقف روسيا "، مشدداً على أن " موقف موسكو الآن يُظهر تحسناً "، واصفاً موقف مجلس الأمن بأنه " غير أخلاقي إزاء شعب يُقتل كل يوم ولا يتلقى إلا الصمت ". (الجريدة، 17 ديسمبر، 2012)

وأوضح لافروف "السبت كنت بالقاهرة حيث اجتمعت بالوزراء العرب، واتفقنا على البنود الخمسة لحل الأزمة، وأحد هذه البنود كان عدم السماح لأي تدخل خارجي، ولكنني تفاجأت عندما وصلت إلى نيويورك وعلمت أنه عندما كنت في الطائرة دعا رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم إلى تشكيل قوة عربية أو دولية وإرسالها إلى سوريا، وهذا يناقض تماما ما اتفقنا عليه وما أعلنه. وأظن أن على جميع الأطراف الآن التركيز على العمل الفعلي وليس على الدبلوماسية العلنية". (الجزيرة.نت، 2012/3/13)

الفصل الخامس

النتائج والتوصيات

قدمت الجزيرة للمشاهد العربي بديلاً مقنعاً عن وسائل الإعلام التقليدية الرسمية العربية، وبديلاً عن الإعلام الغربي أيضاً؛ نظراً لمهنتها العالية وقدرتها على تغطية التطورات السياسية في جميع أنحاء العالم العربي، ولبت احتياجات الجماهير العربية بتقديمها لمختلف أطياف المعارضة عبر برامجها الحوارية التي رفعت من خلالها سقف الحرية الإعلامية، فاكتسبت بذلك ثقة نسبة عالية من المشاهدين.

ولكن الجزيرة تأسست ومولت من قبل قطر التي تحتضن القواعد الأمريكية فوق أراضيها، والتي توالي الغرب وتؤيد عملية السلام والمفاوضات مع إسرائيل كغيرها من الدول العربية، لذلك فقطر أبعد ما تكون عن كيان ثوري كما تحاول أن تقدم نفسها من خلال قناة الجزيرة في فترة تاريخية غير مسبوقه كالفترة التي يمر بها عالمنا العربي حالياً.

لذلك كان لا بد من تقييم ما تقوم به الجزيرة بشكل مختلف، وضمن حدود هذا التقييم، يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: هل قدمت الجزيرة أي مساهمة جوهرية في تغطيتها لما يعرف بالربيع العربي بشكل عام، وللأزمة السورية بشكل خاص؟ أم قدمت وجهة النظر القطرية التي تتدرج تحت وجهة النظر الأمريكية التي لا يهمها سوى مصالحها، ومصالح حليفها إسرائيل؟

خلف شعارات الحرية، الديمقراطية، حقوق الإنسان والثورة، توارت الغايات الحقيقية لخطاب الجزيرة الذي يبتعد عن طموحات المشاهد العربي وتطلعاته، ليعكس سياسة قطر التي هي جزء من منظومة كاملة تعمل بانسجام تام تحت مظلة الولايات المتحدة الأمريكية والتي لا ترى في الوطن العربي سوى خيارات يمكن استباحتها، وأنظمة تسهل السيطرة عليها.

لذلك يمكن تلخيص النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة كما يلي:

أولاً: قام القاسم بدور مهم خلال فترة الربيع العربي خاصة فيما يخص الأزمة السورية. فلقد تناول برنامجه هذه الأزمة ضمن فكرة محددة أطرت جميع الحلقات، تتمثل في استحالة الإصلاح واستبعاد الحل السياسي للأزمة تماماً. وهذا أدى إلى الانتقال من المحاجبات المرتكزة على

المبادئ الراسخة إلى المحاججات المرتكزة على الظروف، والوقائع في الحكم على الأفكار الفرعية التي تناولتها حلقات هذا البرنامج. وبناء على ذلك فإن هذه الحلقات تعمل على تشجيع المشاهدين على اختيار ما يمكن تحقيقه بدلاً من التمسك بالثوابت الراسخة، وهذا يتوافق مع وجهة النظر القطرية حول المحاور الأربعة التي تناولتها الدراسة:

المحور الأول: عسكرة الانتفاضة والتدخل الخارجي

أطر خطاب البرنامج فكرة الثورة السلمية بإطار جديد مبني على الظروف والوقائع التي يعانيها الشعب السوري في ظل نظام قمعي، لا يعترف بحق التعبير عن النفس من خلال المظاهرات والاحتجاجات، فقدم الثورة السلمية على اعتبار أنها ثورة نبيلة، ولكنها لا يمكن أن تكون خياراً في الحالة السورية، ولا يمكن لمثل هذه الثورة السلمية أن تلبي طموح الشعب السوري وتساعده على نيل حقه الطبيعي في الحرية والديمقراطية، لذلك لا بد من احلال الثورة المسلحة مكانها. هذا بالإضافة إلى أن الثورة المسلحة وحدها غير كافية لوقف القتل والتصدي لهمجية النظام الذي شن حرباً على شعبه استخدم فيها حتى الطائرات، فرغم الاعتراف بحقيقة بشاعة التدخل الخارجي الذي لا يمكن تقييمه إلا بحالة استعمارية جديدة للمنطقة، إلا أن خطاب البرنامج دعا لتبنيه على اعتبار أنه لا بد من اللجوء إلى هذا التدخل للخلاص من الواقع الصعب والطارئ الذي تعانيه سوريا.

المحور الثاني: إسقاط النظام وتفكيك الجيش

استناداً إلى قاعدة استحالة الإصلاح تبرز قراءة بديلة لطبيعة العلاقة بين الشعب من جهة، والنظام والجيش من جهة أخرى. فقد دعا خطاب البرنامج إلى إعادة بناء هذه العلاقة بعيداً عن المبادئ الراسخة التي تحتم الترابط، واللحمة بين الشعب والجيش، والاستناد إلى رؤية جديدة لهذه العلاقة مبنية على اعتبار أن الجيش هو جيش النظام الذي لا يمثل إلا شكلاً من أشكال الاحتلال، ونموذجاً للقمع والإجرام والاستبداد، وهذا النظام هو نظام مهترئ، وغير قابل للإصلاح، يستخدم هذا الجيش أداة للبطش والقتل، والتدمير وهتك الأعراض، وعلاقة من هذا النوع لا يمكن إلا أن تؤدي إلى اتخاذ موقف يرتبط بهذه الظروف، والوقائع ينادي بإسقاط النظام بكافة رموزه وتفكيك الجيش والاستغناء عنه.

المحور الثالث: عبثية الفكر القومي والمقاومة

وضع خطاب البرنامج إطاراً جديداً للقومية العربية والمقاومة، يبتعد عن النظر إلى المبادئ الرئيسية التي تتادي بها القومية العربية (الوحدة والتحرير) كمبادئ يمكن أخذها بعين الاعتبار في ظل الظروف التي يعانيتها الوطن العربي حالياً، فالدول العربية الآن غير معنية بالوحدة بقدر اهتمامها بحل مشاكلها الداخلية التي باتت تشغل وتؤرق كل منها على حدة، فأى وحدة يمكن أن تفكر فيها الشعوب التي تعاني القمع والاستبداد، وأي تحرير قد تسعى إليه سوى تحرير نفسها من الأنظمة الهمجية التي تحكمها والتي لا يمكن تصويرها إلا بأنظمة احتلال. هذا الواقع ظهر جلياً عندما صور البرنامج النظام الذي يسمي نفسه قومياً عربياً مقاوماً وممانعاً على أنه مجرم ومجرد من الإنسانية، وأسوأ من الاحتلال الصهيوني والاستعمار الفرنسي، وأبشع من النازية والفاشية، لينتزع من المشاهدين تساؤلاً عن جدوى هذه القومية العربية والمقاومة إذا كان من يدعيها يقتل شعبه!

المحور الرابع: إعادة تصنيع العدو

هناك قراءة بديلة لعدو الأمة الأخطر، لا تقوم على المبادئ العامة التي تتبناها الشعوب العربية، والتي ترى في العدو الإسرائيلي عدوها الوجودي الأهم، ذلك العدو الذي تدعمه أمريكا وتسانده بكل الطرائق والوسائل، العسكرية منها والسياسية، إلى قراءة بديلة تستند إلى حقائق وظروف جديدة تم تصنيعها لإقصاء صورة العدو الأساسي من أذهان المشاهدين، بل تحييدها تماماً واحلال صورة جديدة بديلة عنها للعدو الجديد الذي بدأ يكبر، ويتعاضم خطره على الأمة العربية استناداً إلى أسس طائفية ركيكة تم استغلالها، وتضخيمها لصالح إظهار هذا العدو المتمثل بإيران وحليفاتها روسيا، عبر المبالغة بأهمية الاختلافات بين المسلم السني والشيوعي، والتي مهما كان حجمها فهي لا يمكن أن تكون بحجم الاختلافات بين العرب كلهم (واسرائيل) مثلاً، أو العرب كلهم والقوى الامبريالية التي تسرق ثرواتهم سواء كانوا سنة أو شيعة.

ثانياً، بناءً على طبيعة هذه المحاور، وطبيعة ما تمثله من مقدمات نظرية، فإنه يمكن توصيف خطاب القاسم نحو الأزمة السورية بأنه خطاب تصعيدي، يهدف إلى تبني الحل العسكري لهذه الأزمة على الرغم مما يعنيه هذا الحل من تدخل قوى خارجية لا تسعى في حقيقة الأمر إلى إعطاء السوريين حريتهم وديمقراطيتهم، ولا تسعى لتحقيق العدالة واحترام حقوق الإنسان، بل تسعى جاهدة لإعادة السيطرة على المنطقة العربية بشكل كامل، ضمن مخطط مدروس تمت من خلاله السيطرة على دول معينة، ولا تزال العملية مستمرة حتى تحقق جميع أهدافها المتمثلة بالسيطرة على كامل المنطقة.

ثالثاً، توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة أيضاً إلى أن برنامج الاتجاه المعاكس لا يقدم اتجاهين متعاكسين، بل إن خطاب هذا البرنامج يسير دائماً باتجاه واحد، يسعى من خلاله لتحقيق أهداف معينة، لكن تنقيف الشارع العربي ليس واحداً منها. وهذا الاتجاه الذي يتبناه خطاب البرنامج تجاه الأزمة السورية موضوع الدراسة، يعبر عن موقف يتنافى مع موقف الشعوب العربية، ولكنه يتقاطع مع الموقف الرسمي القطري من هذه الأزمة، مما يؤكد أن خطاب الجزيرة بشكل عام ما هو إلا شكل من أشكال الإعلام الرسمي العربي الذي يخدم مصالح واستراتيجيات الجهات الراعية.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها توصي الباحثة بما يلي:

- استكمال الفكرة التي سلطت هذه الدراسة الضوء على جانب صغير منها، وذلك بإجراء المزيد من الأبحاث حول البرامج الحوارية التي تحظى بشعبية لدى جمهور المشاهدين، وخاصة في القنوات التي تعمل جاهدة لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الجمهور، وذلك للوقوف على الأهداف الحقيقية التي تسعى هذه القنوات لتحقيقها من خلال هذه البرامج ذات الجماهيرية العالية.

- تحليل خطاب برامج أخرى تقدمها قناة الجزيرة تتناول أحداث الربيع العربي نحو دول أخرى، ومقارنة اتجاه هذا الخطاب مع اتجاه الخطاب الرسمي لدولة قطر تجاه الدول محط الدراسة، وذلك من خلال استقراء اتجاه الدولة القطرية عن طريق البحث في دلالات التصريحات التي يدلي بها مسؤولون قطريون كوزير الخارجية القطري مثلاً.
- تحليل الخطاب الإعلامي لقنوات أخرى ذات شعبية تدعي الاستقلالية، ومقارنة خطاب هذه القنوات بالخطاب الرسمي للجهات الراعية لها للوقوف على مدى استقلالية هذه القنوات عن الجهات الراعية لها.
- البحث في حقيقة مساهمة القنوات العربية ذات الجماهيرية العالية بتوجيه أحداث (الربيع العربي) نحو وجهات معينة، للوقوف على حقيقة هذا التوجيه، والبحث عن الجهات المستفيدة من هذا التوجيه إن وجد.
- استخدام المنهج النوعي بشكل أكبر من قبل الباحثين، لما يوفره هذا المنهج من فرصة للتعبير عن الرأي، ومساحة من التفكير تدفع الباحث للعمل على سبر أعماق الفكرة التي يتناولها بالدراسة، وتحليلها وتفكيكها بطرائق عدة تؤدي في النهاية إلى إثراء الدراسة وتدعيمها.
- وأخيراً، توصي الباحثة بإجراء الدراسات والأبحاث الإعلامية ضمن السياق العام للأحداث والتطورات، إذ لا يمكن فصل القضايا الإعلامية عن الاعتبارات السياسية أو الاقتصادية أو حتى التاريخية... الخ، وذلك لأن هذه الاعتبارات تؤثر بشكل أو بآخر على القضايا الإعلامية بشكل عام.

المراجع:

- الحربي، فرحان بدري (2003). **الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب)**. بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- حسن، حمدي (1991). **الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام**. القاهرة، الفكر العربي.
- عبد الحميد، محمد (2010). **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**. ط 2، القاهرة، عالم الكتب.
- صليبا، جميل؛ مردم، خليل (1985). **ديوان خليل مردم بيك: (1895-1959)**. بيروت، دار صادر للنشر.
- فوكو، ميشيل، 2007، **نظام الخطاب**. الطبعة الثانية، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر.
- مكاي، حسن ؛ السيد، حسين (2009). **الاتصال ونظرياته المعاصرة**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- ميرميه، فرانك (2003). **الفضاء العربي**. ترجمة فريدريك معتوق، دمشق، دار دقمس.

الدراسات والبحوث:

- أبو الرب، محمد (2008). **دور قناة الجزيرة في تشكيل العلاقات الدولية لدولة قطر**. (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية العلوم السياسية، جامعة بيرزيت، فلسطين.
- حمدان، محمد (2012). **تغطية الفضائيات الإخبارية للأحداث: تغطية فضائيتي الجزيرة والعربية لأحداث مصر وليبيا "دراسة مقارنة"**. (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان، الأردن.
- الخزندار، سامي (2008). **آراء أساتذة العلوم السياسية والإعلام بشأن مدى مهنية الجزيرة**. مركز الجزيرة للدراسات.
- سميسم، حميدة، (1997). **مفهوم الخطاب الإعلامي**. **المؤتمر العلمي الثالث في تحليل الخطاب العربي**، أيار. جامعة فيلادلفيا، عمان الأردن.

- شومان، محمد (2011). إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية: الدراسات المصرية نموذجاً. مايو، مجلة التربية، وزارة التربية والتعليم، مملكة البحرين، العدد 21.
- نايف، مي عمر (2012). الإعلام ما بعد التفاعلي كقوة ناعمة في إدارة التغيير/ قناة الجزيرة نموذجاً. المؤتمر العلمي الخامس بعنوان الإعلام والمجتمع في الفترة بين 1-2012/4/3. جامعة عمان الأهلية، عمان الأردن.

الصحف العربية والأجنبية:

- جريدة الرأي، 2012، الجمعة، (2) نوفمبر.
- صحيفة العرب اليوم، 2012، الثلاثاء، (15) أيار.
- يدعوت أحرنوت، 2012، الخميس، (22) نوفمبر.
- لوس انجلوس تايمز الأمريكية، الأحد، (18) مارس.

البرامج التلفزيونية:

- عطوان، عبد الباري، 2012، قناة الحوار، برنامج أضواء على الأحداث.
- جالوي، جورج، 2012، قناة الميادين، سايكس بيكو الثانية، يونيو.
- منصور، أحمد، 2002، الجزيرة، برنامج بلا حدود، سياسة قطر الخارجية، 16، أكتوبر.
- منصور، أحمد، 2011، الجزيرة، برنامج بلا حدود، تغطية الجزيرة للثورات العربية، 9، نوفمبر.
- منصور، أحمد، 2012، الجزيرة، برنامج بلا حدود، الدور القطري في الربيع العربي، 28، مارس.
- سليم، صلاح الدين، 2004، الجزيرة، برنامج بلا حدود، المطالب الأمريكية من الدول العربية، 29 سبتمبر.

English References:

- Alterman, J. B. (2000). *Counting nodes and counting noses: Understanding new media in the Middle East*. The Middle East Journal, 54 (3), 355-364.
- Bacon, M. (2012). *Pragmatism*. Polity Press. Cambridge.
- Balmas, M.; Sheafer, T. (June 2010). *Candidate Image in Election Campaigns: Attribute Agenda Setting, Affective Priming, and Voting Intentions*. International journal of public opinion research.
- Bechtel, W.; Luckhardt, C. (1994). *How to Do Things with Logic*. Lawrence Erlbaum Associates, Inc. New Jersey. United States of America.
- Black, E. (1992). *Rhetorical questions: Studies of public discourse*. Chicago, ILL: The University of Chicago Press.
- Bowen, J. (2012). *The People Want The Fall of The Regime: The Arab Uprising*. Simon & Schuster UK Ltd.
- Bradley, J. (2009). *INSIDE EGYPT: THE LAND OF THE PHARAOHS ON THE BRINK OF A REVOLUTION*. Palgrave Macmillan UK.
- Burke, K. (1974). *A Rhetoric of Motives*. Berkeley: University of California Press.
- Cohen, B. (1963). *The press and foreign policy*. New York: Harcourt.
- Conley, T. (1994). *Rhetoric in the European Tradition*. University of Chicago. Press of Chicago and London.
- Crenshaw, M. (1995). *Terrorism in context*. The Pennsylvania State University Press.
- El-Nawawy M., & Iskandar, A. (2003). *Al-Jazeera: The story of the network that is rattling governments and redefining modern journalism*. Cambridge: MA.
- Emanuel, S. (2007). *Evidence*. Aspen publishers. New York.
- Iyengar, S; Kinder, D (1987). *News that matter: Television and American opinion*. Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Johnstone, B.; Isenhardt, C. *Rhetoric in Detail: Discourse Analyses of Rhetorical Talk and Text*. John Benjamins Publishing Co. United States of America.

- Jones, S. (2006). *Antonio Gramsci*. Taylor and Francis e-Library. New York. United States of America.
- Mayer, R. (1982). *Social Science and Institutional Change*. Rockville, Md.: U.S Dept. of Health, Education, and welfare. New Jersey, United States of America.
- McCombs, M.; Shaw, D. (1972). *The agenda-setting function of mass media*. Public Opinion Quarterly 36.
- McCombs, M. E.; Llamas, J. P., Lopez-Excoabar, E., & Rey, F. (1998). *Candidate's images in Spanish elections: Second-level agenda-setting effects*. Journalism & Mass Communication Quarterly.
- Miles, H. (2005). *AL-JAZEERA The Inside Story of the Arab News Channel That Is Challenging the West*. Grover Press, New York.
- Pepper, S. (1942). *World Hypotheses: a Study in Evidence*. University of California Press. London, England.
- Pirie, Madsen (2007). *How to Win Every Argument: The Use and Abuse of Logic*. UK: Continuum International Publishing Group.
- Rushing, J. (2007). *MISSION AL JAZEERA*. Palgrave Macmillan, New York.
- Sakr, N. (2007). *Challenger or lackey? The politics of news on Al-Jazeera*. In Thussa, D. K. (Ed.), *Media on the move: global flow and contra-flow* (pp. 116-132). New York: Routledge.
- Tellhami, S. (2004). *The stakes: America in the Middle East: The consequence of power and the choice for peace*. Boulder, Colorado: Westview Press.
- Weaver, R. (1953). *The ethics of rhetoric*. South End, Indiana: Gateway Editions.
- Yezdani, Ipek (23 August 2011). *Syrian dissidents form national council*. World Wires (Miami Herald Media). Retrieved 24 August 2011.
- Zayani, M. (2006). *Arab public opinion in the age of satellite television: The case of al-Jazeera*. In E. Poole, & J. E. Richardson (Eds.), *Muslims and the news media*. New York: I.B.Tauris.

English Studies:

- Al- Sadi, Mahmoud (2011). *Al-Jazeera Television: Intifada on the Air*. (Unpublished doctoral dissertation), The University of Memphis.
- Fandy, Mamoun (2007). *(Un) Civil War of Words: Media and Politics in the Arab World*. Praeger Security International.
- Khamis, S. Paul B. Gold and Vaughn, K (2012). *Beyond- Egypt's "Facebook Revolution" and Syria's "YouTube Uprising ": Comparing Political Contexts, Actors and Communication Strategies*.
- Mahroum, Mohamed (2011). *Journalists of today and tomorrow in Jordan: How they Assess Al-Jazeera's coverage of the events of the Arab Spring on the year 2011*. (Unpublished Master's Thesis). University of Dublin, London.
- Miles, Hugh (2005). *Al-Jazeera: The Inside Story of the Arab News Channel That is Challenging the West*. New York, Grover Press.
- Melhim, Hashim (2005). *Arab Media, Power and Influence*. Woodrow Wilson School. United States of America.
- Sakr, N. (2001). *Satellite realms: Transnational television, globalization and the Middle East*. London, UK: I. B. tauris.
- Zayani, Mohamed (2005). *The Al Jazeera Phenomenon: Critical Perspectives on New Arab Media*. London: Pluto Press.

Web Sites:

- www.aljazeera.net (25/1/2012), (12/3/2012), (13/3/2012), (30/5/2012, News), (8/11/2012, News).
- www.alarabiya.net/News, (16/12/2012).
- en.wikipedia.org/wiki/Main_Page, (24/11/2012), (26/11/2012), (16/12/2012)
- www.bbc.co.uk/arabic.
- www.aljarida.com.
- www.elbadil.info.
- www.mostakbaliat.com.